٢٣

الرحمة المهداة

إنما أنا رحمة مهداة

الطبعة الثانية

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

الكتاب (٢٣) من المطبوع

وعددها (١٠٤)

الرحمة المهداة

إنما أنا رحمة مهداة

الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الثانية: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

فوزي محمد أبوزيد

الكتاب	الرحمة المهداة
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الثانية	١ ربيع الأول ١٤٣٩ هـ، ٢١ نوفمبر ٢٠١٧ م
الطبعة الأولى	١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م
ترتيب وسلسلة	٢٣ من المطبوع، و٧ من سلسلة الحقيقة المحمدية
الداخلى	١٩٢ ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٠٠ جم*٤ لون، سلوفان م
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، المعادى، القاهرة،ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠،ف: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
إيداع محلى	٢٠١٧/٢٥٢٨٧
ترقيم دولى	978-977-90-5085-0
البار كود	25287 9 789779 050850
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

للتواصل الإليكترونى بالشيخ المؤلف على الشبكة:

١- الموقع الرسمى للشيخ فوزى مُحَمَّد أبوزيد[١]. ٢- الماسنجر والواتس آب. ٣- صفحات الشيخ على الفيس بوك: الصفحة الشخصية[٢]، ص الشباب المعاصر[٣]، وص المكتبة[٤]، وص الخطب الإلهامية[٥]،وص التربية الصوفية العصرية في القرآن والسنة[٦] أو ص إشارات العارفين[٧].

---

١ www.fawzyabuzeid.com
٢ https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid
٣ https://www.facebook.com/shbabmoaser
٤ https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library
٥ https://www.facebook.com/khotab
٦ https://www.facebook.com/alsoufia
٧ https://www.facebook.com/esharatelaarfeen

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي لا يحمد سواه ...

والصلاه والسلام على سيدنا مُحَمَّد الذي رقَّاه مولاه وحباه وأدناه .. وجعله رحمة سابغة شاملة لجميع خلق الله، وآله وصحبه ومن والاه ..

وبعد ...

شغف المسلمون أجمعون شغفاً شديدا برسول الله ﷺ، حتى أنهم يحبونه أكثر من انفسهم و من آبائهم و أموالهم وأولادهم !! .. ولذلك يتلقفون كل كلمة تتحدث عن حضرته، .. ويحرصون على قراءتها .. واستيعابها ..، بل وربما قلنا بشربها !

وهذا ما حدا بكثير من الأحباب والإخوه المؤمنين في كل مكان بحثِّنا حثًّاً شديدا على إعاده طباعه كتاب (الرحمة المهداة) بعد نفاد طبعته الأولى ..

فاستخرنا الله تعالى و راجعناه وراجعنا تخريج أحاديثه، وأجزنا طباعته للمرَّة الثانية لتخرج مع غره شهر ربيع الاول ١٤٣٩ هـ الموافق لذكرى ميلاد خير الأنام ومصباح الظلام و بدر التمام سيدنا مُحَمَّد ﷺ.

جزى الله الاحباب الذين أعاده كتابه هذا الكتاب بالوسائل التكنولوجية الحديثة ... وراجعوا تخريج أحاديثه .. و أشرفوا على طباعته .. ونشره .. وتوزيعه .. خير الجزاء في الدنيا والآخرة ..

كما أنى أسأل الله عزَّ وجلَّ:

أن ينفع به كل من قرأه .. أو أهداء لمن يقرأه، أو بلَّغ بما يحويه ..، وجعله زاداً له لرؤية الحبيب .. و الفوز منه بأعظم نصيب .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(٨آل عمران)

و صلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

المعادى فى ...

٢٥ من صفر ١٤٣٩ هـ

الموافق ١٤ نوفمبر ٢٠١٧م

الجميزة ـ محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الفاتح كنوز فضله العظيم بنبيّه الكريم ورسوله السيّد السند العظيم، الذي وصفه بأوصافه، وأثنى عليه بأسماء بهائه، فقال في شأنه وهو أصدق القائلين:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة)

والصلاة والسلام على النُّور التام للملك العلام، والسرّ الذي به بلوغ الصالحين لكل شأوٍ ومرام، سيّدنا مُحَمَّد نبيّ المرسلين ورسول النبيّين والرحمة العظمى لجميع العالمين صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم، صلاة تملأ قلوبنا نحوه بالشوق والحنين، وتجعلنا له في الدنيا من خيار الأنصار والمتَّبعين، وفي الآخرة من أهل معيته الصادقين وأحبابه المقربين، آمين.

وبعد ....

فقد جرى العرف بيننا جماعة آل العزائم من أتباع القطب المبارك سيّدي الشيخ مُحَمَّد على سلامة ﷺ، أن نُولِي أيام وليالي شهر ربيع الأول عناية خاصة، لما يتفضل به الله عزَّ وجلَّ على الأمة المحمدية في هذه الأيام والليالي ببركته ﷺ من الخير العام والفضل والفتح والنور والهدى، ويجتمع الإخوان جميعاً من كل بلدان الجمهورية في ليلة الجمعة التالية لذكرى ليلة المولد بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة، لإحياء هذه المناسبة بما يليق بها من دروس العلم والإنشاد الديني والأذكار.

فقد قام الأخوان محسن عبد الحي – رئيس المكتب الفني اللاسلكي بوزارة المواصلات بالقاهرة، ومُحَمَّد على عطية – الموجه بالتعليم الأزهري بالغربية، بكتابة بعض المحاضرات التي ألقيناها في هذه المناسبة، وتنحصر في المدة من عام ١٩٩٢م إلى عام

٢٠٠١م، بعد تسجيلها على شرائط تسجيل ثم نسخها بُغية في تعميم النفع بها، فقمنا بمراجعتها وتخريج آياتها، وأجزنا إخواننا بنشرها، فما كان منها من فضل وتوفيق فمن الله ﷻ، وما كان فيها من سهو أو خطأ فمن عجلتي وتقصيري.

وقد سميناه كتاب:

(الرَّحْمَةُ المُهْدَاة)

ونرجو به من الله ﷻ أن يرزقنا نُوره وهداه، وبرَّه وتقواه، ويمتع عيون قلوبنا برؤية جمال حبيبه ومصطفاه، إنه على شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

فوزى مُحَمَّد أبوزيد

خادم الأعتاب المحمدية

الجميزة ـ مركز السنطة ـ غربية

ت: ٠٤٠ – ٤٣٤٠٥١٩

الفصل الأول

حقائق
الحضرة المحمَّديَّة

الحضرة الأحمديَّة

الحضرة النورانيَّـة

الحضرة الأكمليَّـة

درجات الإيمـــان

الجهاد الأعظـــم

حكمـــة الجهـــاد

المتابـــعة الرافعة

الفصل الأول

حقائق الحضرة المحمدية[٨]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، ومفتاح السعادة في الدنيا وباب الشفاعة العظمى في يوم الخلود، سيدنا ومولانا مُحَمَّد بن عَبْدِ الله، وآله وأصحابه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين، آمين. وبعد ...

نحن في هذا اليوم – يا إخواني – عندما نحتفل بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ في الحقيقة نحتفل بميلاد حلقة واحدة من حلقات سيِّد الأنبياء ﷺ، لأنه له ميلاد نوراني، وميلاد روحاني، وميلاد جسماني.

فنحن نحتفل الآن بالميلاد الجسماني، لكن الميلاد النوراني احتفل به الله مع رسل الله وأثبت ذلك في كتاب الله ﷻ. والميلاد الروحاني احتفى به الله مع عمار السموات من ملائكة الله، وأيضاً أثبت ذلك في كتاب الله ﷻ. أما الميلاد الجسماني فهو الذي يحتفل به كلَّ عام جماعة المسلمين والمؤمنين.

ما السرُّ في تعدُّد هذه الحقائق؟

لأن سيدنا رسول الله ﷺ اختُصَّ بأنه رسولُ المرسلين، ورسول الملائكة، ورسول الإنس، ورسول الجن، ورسول كلِّ كائن من كائنات الله ﷻ العلوية أو السفلية العاقلة التي تعقل عن الله كلامه، وتهتدي إليه سبحانه وتعالى، وتتعبد إليه وتشكره على جميع إنعامه:

---

٨ كانت هذه المحاضرة مساء يوم الخميس ١٣ ربيع الأول ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢/٩/١٠م ، بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بمناسبة الاحتفال بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (٢٨ سبأ)

فهو للكل!! أما الأنبياء السابقون فكل واحد منهم لجماعته، أو لأهل بلدته، أو لقومه الذي نشأ فيهم، حتى أنه كان يبعث في الزمن الواحد أكثر من نبيٍّ، فواحد في الشام وواحد في فلسطين، فمثلاً: كان إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل كلُّهم في وقت واحد، وكلُّهم أنبياء ...

وكان شعيب وموسى وهارون ويوشع بن نون كلُّهم أنبياء، وكلُّهم في وقت واحد، لكن كل واحد منهم مرسل لقومه فقط، أو للجماعة التي خصَّه بها الله ﷻ.

أما الذي أرسل للجميع فهو سيدنا رسول الله ﷺ، ﴿كَآفَّةٗ﴾:

يعني عامة للناس جميعاً – من قبل القبل إلى بعد البعد، وهو رسول المرسلين ونبيُّ النبيين صلوات الله وسلامه عليه، فكان له ثلاث حضرات: الحضرة الأحمدية، والحضرة المحمودية، والحضرة المحمدية.

الحضرة الأحمديَّة

فأما الحضرة الأحمدية: فهي الحضرة التي كان يواجه بها الأنبياء والرسل السابقين، ومن أجل ذلك ذكروها :

﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾(٦:الصف)

فالذي عرفوه منه ﷺ الحضرة الأحمدية، وهي الحضرة النورانية التي ليس فيها جسمانية، وليس فيها هيكلية، وليس فيها من العناصر الأرضية شيء، بل نُورٌ على نُور، نُور الله ﷻ على نُور الحبيب ﷺ.

فالأنبياء والمرسلون كانوا يستمدون من الحضرة النورانية الصافية، لأن أرواحهم صافية على الدوام، ولا يحتاجون – مثلنا – لواحد يجلسون أمامه، ويوجهون نظرهم إليه،

وينصتون بسمعهم إليه، لأنهم كانوا في صفاء الصفاء وفي بهاء البهاء!

ولذلك كان لا يغيب عنهم نور سيّد الأنبياء ﷺ منذ رأتهم عيون أبصارهم في يوم الميثاق، وهم لا يغيبون عنه ....

بل دائماً يشتاقون إليه، حتى أكمل الله عليهم المِنَّة، وأتم عليهم النِعمة، وأرسلهم وبعثهم جميعاً بعد مجيء الصورة المحمدية الكاملة، ليجددوا البيعة على حضرته صلوات الله وسلامه عليه في بيت المقدس – كما تعلمون – من أجل أن يحظوا بالشرفين، ويأخذوا من الحضرتين، لكن نور رسول الله ﷺ كان لا يغيب عنهم طرفة عين. ... هذه الحضرة الأحمدية النورانية ... التي يسأل فيها سيدنا جابر رسول الله ﷺ ويقول له:

{ سَأَلْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ: هُوَ نُورُ نَبِيِّك يَا جَابِرُ }[٩]

وهذه كانت الحضرة الأولى، حضرة الأنوار لأهل الأنوار.

الحضرة النورانيَّة

أما حضرة الملائكة:

فإن الله ﷻ تَجَلَّى لهم بنُورِ حبيبه ومصطفاه في هيكل آدم عليه السلام ...

فكان أدم الشاشة التي انعكست عليها أنوار النبيّ الخاتم .....

ليستطيع ملائكة الله ﷻ أن يروه ﷺ ....

---

٩ رواه عبد الرازق الصنعانى في مسنده عن جابر بن عبدالله الأنصارى ﷺ، وهو حديث طويل أوله { أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ ﷺ قَالَ: سَأَلْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ هُوَ نُورُ نَبِيِّك يَا جَابِرُ خَلَقَهُ اللَّهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ وَخَلَقَ بَعْدَهُ كُلَّ شَرّ.} كما ورد الرواية فى حاشية الصاوي لأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّاوِيُّ ووردت فى الشرح الصغير على أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك لمحمد بن أحمد الدردير وفى تفسير نور الأذهان لإسماعيل البروسوى، وفى "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" لإسماعيل العجلونى، دار الكتب العلمية طبعة ٢٠٠١

على حسب قدراتهم ..... وعلى حسب سعة أنوارهم، وعلى حسب نورانية وشفافية ذواتهم الروحانية ... لأن نُورَ رسول الله ﷺ لا يستطيع أَحَدٌ أن يراه إلا إذا أعطاه الله ﷻ قوة من عنده به يراه، لكنه بذاته لا يستطيع أحد أن يراه صلوات الله وسلامه عليه.

الحضرة الأكمليَّة

ونحن والحمد لله أكرمنا الله بالحضرة الكاملة، الحضرة المحمدية الكاملة، وجعلنا الله ببركة هذه الحضرة لنا من الفضل، ولنا من الهناء، ولنا من الخصوصيات ما به ميَّزنا الله عن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة وأتم السلام.

فعندما ننظر إلى لوحة الأنبياء في القرآن – التي فيها تشريفهم بذات النبيّ العدنان – واللوحة التي لنا في القرآن، نجد تقارباً كبيراً جداً بين اللوحتين في الفضل والإكرام والإنعام من الله ﷻ. لوحة النبيين:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (٨١:آل عمران)

هذه لوحة الأنبياء، أخذ الله عليهم العهد أن يؤمنوا به ويتبعوه، وينصروه ويؤازروه ويساعدوه صلوات الله وسلامه عليه، وحذرهم بعد ذلك:

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٨٢:آل عمران)

أي: حذاري لأي واحد منكم أن يغيّر هذا العهد أو يبدّله.

أما لوحتنا:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾، وبعد ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ (٨-١٠:الفتح).

فأخذ علينا العهد أن نؤمن به: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: يعني تساعدوه وتعاونوه، وتعاضدوه وتناصروه، على تبليغ رسالة الله ﷻ. ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تعظموه وتبجلوه وتكرموه، لأن هذا أمر مِنْ الله ﷻ.

وهذا العهد هو نفس العهد، لأن الذي بايع رسول الله فإنما بايع الله ﷻ: ﴿ إِن ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، لم يقل كأنما يبايعون الله، بل قال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، واليد التي كانت فوق أيديهم .. كانت يَدُ من؟ يد الله مع أن اليد التي كانت فوق أيديهم يَدُ رسول الله ﷺ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾.

إذن نفس الخصائص التي هنا هي نفس الخصائص التي هنا، وهذا يكشف لنا عن أن رسول الله ﷺ له نواب سابقون، وله نواب لاحقون، وهو ﷺ رسول الأولين كما أنه رسول الآخرين، ورسول السابقين كما أنه رسول اللاحقين، ونبيُّ المؤمنين والمسلمين وأيضًا نبيُّ الملائكة والمقربين، فهو نبيُّ الكل صلوات الله وسلامه عليه.

وإن شئت قل هو كالشمس، نحن الآن في الليل وجماعة عندهم الآن النهار، فنحن قبل بعثته كنا في الليل وكان الأنبياء في نهار النبيِّ صلوات الله وسلامه عليه، ولما أشرقت علينا شمس النبيّ المختار صرنا في نهار الأنوار إلى يوم القرار، حتى أننا كما يقول الواحد القهار– نقول يوم القيامة فى:

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (٨:التحريم)

فنحن كلُّنا في النور، ولكن نريد أن يتمِّم الله لنا هذا النور، نحن كنا في نور المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام صلوات الله وسلامه عليه.

الذي أريد أن أقوله لإخواني: أننا في هذا اليوم – الذي نحن فيه الآن – نحتفل بيوم ميلاد الحقيقة المحمدية، وهذه التي بها كمال المعاني الروحانية، وتمام المقامات الإلهية، وتمام الفضائل الربانية، التي أنزلها الله ﷻ للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فإن الفضل كان يخرج من كنوز فضل الله بحساب، حتى ظَهَرَ سيدنا رسول الله ﷺ فأصبح الفضل من عند الله بغير حساب:

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (٣٩:ص)

درجات الإيمان

فالأنبياء أمرهم اله أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وأمرنا نحن أن نؤمن به، وأمرهم أن ينصروه وأمرنا كذلك أن ننصره.

ما المقصود بالإيمان هنا؟ وما كيفية النصر هنا؟

نحن كلنا مؤمنون، لكن ربنا يأتي في القرآن ويضع منبهات، فمثلاً يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ (١٣٦:النساء)

نحن مؤمنون، فبماذا نؤمن ثانية؟ يقصد بذلك زيادة الإيمان، أي نريد درجة أعلى في الإيمان، ودرجة أرقى في الإيمان بالنبي العدنان ﷺ. كل إنسان يؤمن بأنه رسول الله، ويقول: (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله) يحرم عليه الخلود في عذاب النار، وضمن الله له دخول الجنة مع الأبرار. وهناك مَنْ يؤمن إيمانًا أكثر وأكبر، أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، هل نحن جميعاً نؤمن بهذا الإيمان؟! لا، فالذي يؤمن بهذا الإيمان معناه أن أمره ونهيه ووصاياه ﷺ تكون في المحل الأعلى في حياته كلها:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْت بِهِ }[١٠]

فهذه درجة أعلى في الإيمان!!.

أن المؤمن يترك هواه ولا يكون له إلا هوى رسول الله ﷺ، فإذا كان هواه أن ينام وهوى رسول الله أن يقوم من أجل أن يصلي الفجر فماذا يُؤثر؟ لاشك أنه يؤثر هوى رسول الله ﷺ على هواه.

وكذلك لو كان هواه أن يمكث في المنزل مع أولاده وهوى رسول الله أنه يذهب إلى بيت الله يشارك إخوانه المؤمنين في الصلاة من أجل أن يحظى بفضل الجماعة، فيؤثر هوى رسول الله ﷺ على هواه.

وأيضًا لو كان هواه راحة النفس وسكون البال وهناءة القلب، لكن هوى رسول الله ﷺ، أن يبقى أحبابه ويبقى أصحابه ويبقى أتباعه في جهاد مستمر إلى أن يلقوا الله ﷻ – لا يخرج أحدهم من جهاد إلا ويدخل في جهاد، ولا ينتهي من جهاد إلا ويبدأ في جهاد حتى يلقى رب العباد ﷻ – فيكون هنا في هوى رسول الله ﷺ، ويوطن نفسه، ويشدِّد عزمه، ويَعْقِدُ قلبه على أنه لا راحة له في الدنيا من الجهاد إلا بعد لقاء رب العباد ﷻ.

لكن هل الدنيا فيها راحة يا إخواني؟!! الراحة فيها يكون عليها ندم بعد ذلك، والمؤمن لا يريد أن يندم يوم لا ينفع الندم، ولذلك فالمؤمن على الدوام في جهاد مستمر!! والجهاد يكفي أن الله ﷻ قال لنا فيه:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ (٧٨:الحج)

عندما يقول الله: (حَقَّ جِهَادِهِۦ)، فما مبلغ هذا الجهاد؟ أو مداه؟ أو نهايته؟ ليس له نهاية، لكن معناه: أننا فهمنا منه – على قدر ماعوننا، وعلى قدر عقولنا وأنفسنا –

---

١٠ رواه النووي في أربعينه والخطيب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

لأن الإنسان طالما في هذه الحياة فهو في جهاد دائم في ذات الله ﷻ؛ جهاد مع نفسه، وجهاد مع فؤاده وقلبه، وجهاد مع زوجه، وجهاد مع أولاده، وجهاد مع جيرانه، وجهاد مع إخوانه، وجهاد مع رفقائه في العمل، وجهاد مع أهل الشارع، وجهاد مع التجار.

جهاد مستمر!! .... وراية الجهاد في قلب المؤمن لا تنزل أبداً، ... إلا عندما يسلِّمها لربِّ العباد ﷻ.

الجهاد الأعظم

فالمؤمن الأرقى الذي تسلَّم راية الجهاد من رسول الله، ورفعها وصمَّمَ على رفعها ما دام فيه نفس يتردد في هذه الحياة، ويكون له أسوة في رسول الله ﷺ عندما رفع الراية وأرسلوا له: إن كنت تريد مالاً جمعنا لك الأموال حتى تكون أغنانا، وإن كنت تريد مُلْكاً مَلَّكْنَاكَ علينا، وإن كنت مريضاً بحثنا لك عن الأطباء لنداويك مهما كلفنا ذلك. ماذا قال؟

أشار إلى أنه لا يرضى بأي أمر من هذه الأمور، بل إنه قال لعمه بعد ذلك:

{ يَا عَمَّاهُ، والله لَو وَضَعُوا الشَّمْسَ في يَمِينِّي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أنْ أَتْرُكَ هذا الأمْرُ مَا تَرَكْتُه حتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أو أهْلَكَ فِيه }[11]

هذا شعار المؤمنين الَّذين حملوا راية الجهاد في صفوف سيِّد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه، إذا عرضت عليهم الدنيا بزخارفها لم يلتفتوا إليها لشغلهم بالله ﷻ والجهاد في سبيله، وإذا طلبتهم المناصب الدنيوية لم يركنوا إليها لأنهم يرجون المناصب الباقية في جوار الباقي ﷻ، وإذا عرضت عليهم جمالات الدنيا بمختلف أنواعها وأشكالها جعلوها خلف ظهورهم، لأن مقصدهم هو الله ﷻ، ولا يلتفتون عنه

---

١١ الوفا بتعريف حقوق المصطفى والسيرة الحلبية والبخاري في التاريخ، والروض الأنق بروايات

نفساً ولا أقل، لا يريدون إلا وجهه:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (٢٨:الكهف)

وهذا إيمان أعلى وأرقى، والقوم الَّذين أنزلوا أنفسهم في هذه المنزلة من الإيمان والَّذين هم أنتم والحمد لله، هؤلاء جعلهم الرسول مثل الأنبياء السابقين وقال فيهم:

{ حكَمَاءٌ علَمَاء كَادوا من فقههم أَن يَكونوا أَنبَياء }[١٢]

في الفضل وفي الكرم، وفي المنن وفي العطاء الإلهي، وفي النعيم الرباني، فهم كهؤلاء الأنبياء السابقين إذا التزموا بهذا النهج الذي ألزمنا به سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه. أما الذي يميل فليس له نصيب في هذا الأمر.

مَنْ مَالَ عَنْهُمْ هَوى فِي نَارِ لأَنَّه مُشْرِكٌ قَدْ مَالَ لِلسُّفْلِ

فالذي يميل قليلاً يخرج من هذا النهج، لكن القوم الَّذين عاهدوا الله، وعاهدوا رسول الله، وعاهدوا أنفسهم أن يعينوا رسول الله على دعوته، وأن يساعدوه على نشر شريعته، وأن يكونوا بالنيابة عنه في إحياء سنته .. هؤلاء القوم لا ينتهي الجهاد منهم إلا مع النفس الأخير، وحتى في النفس الأخير تجد الواحد منهم في جهاد!!

فقد جاء الموت الإمام الشبلي ﷺ وأرضاه، وعندما أحاط به الموت طلب من خادمه أن يوضئه، وعندما كان يوضئه نسي أن يخلل لحيته، وكان قد كُفَّ لسانه عن الكلام، فأمسك بيد الخادم ووضعها على لحيته – لأنه لا يستطيع أن يتكلم – ليعلمه أنه لم يخلل لحيته بالماء!! والتخليل من سنن الوضوء، فقالوا: حتى في هذه الساعة لم ينس

---

١٢ قال فى زاد المعاد في هدي خير العباد : ذكر أبو نعيم في كتاب «معرفة الصحابة»، والحافظ أبو موسى المديني، من حديث أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني قال: حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزديّ، قال: حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث من حديث طويل ورد فيه، وفى تخريج أحاديث الإحياء للعراقى.

سُنَّة من سنن الوضوء!! لأنه في جهاد مستمر مع الله ﷻ.

والإمام الجنيد وهو في النَّفَسِ الأخير دخلوا عليه فوجدوه يختم القرآن، فقالوا له: حتى في هذه الساعة؟ قال: ومَنْ أولى بذلك مني؟ وها أنا ذا ألقى الله عزَّ وجلَّ وقد انتهيت من ختم قراءة كتابه سبحانه وتعالى، ما الذي يشغلني عن هذا الأمر وأنا مسافر إلى الله ﷻ؟.فهؤلاء القوم لا ينتهي جهادهم مع الله ﷻ إلا في النفس الأخير. وأنتم كلكم تعلمون أن شيخنا الشيخ مُحَمَّد على سلامه ﷺ وأرضاه خرجت روحه إلى الله ﷻ وهو في أروع وأنصع صفحات الجهاد، فقد كان سائرًا على قدميه ذاهباً ليُعَلِّمَ المسلمين – ابتغاء وجه الله – مما أفاءه عليه الله ﷻ. جهاد إلى النفس الأخير.

هذا حال الأتقياء الأنقياء الَّذين تسلَّموا الراية من البشير النذير ﷺ، فهذا الإيمان هو الإيمان الذي يجعل الإنسان ليس له راحة إلا في رضاء الله وفي رضاء حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

حكمة الجهاد

﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾

أي: تساعدوه. كيف نساعده؟ هل هو يحتاج منَّا إلى مساعدة؟!!!

الموضوع يا إخواني موضوع تشريف!!

فكما شرَّف أصحاب رسول الله، شرَّف الَّذين بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن اختلفت أنواع الجهاد، لأنهم كانوا يجاهدون بالسيوف ونحن نجاهد بالألسن والأموال:

{ مَا مِنْ نَبِيَ بَعَثَهُ الله فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ. ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمِ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ. فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،

وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ }[١٣]

كما قال ﷺ، فعندما أمسكوا بالسيوف وحاربوا وقتلوا ماذا قال لهم ربنا؟

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾ (١٧:الأنفال)

هذا ليعلم الَّذين آمنوا ويعلم الَّذين جاهدوا ويعلم الجماعة ويتخذ منكم شهداء:

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ (١٤٠آل عمران)،

وفي القراءة الثانية: ﴿وَلِيُعْلِمَ اللهُ الَّذين آمَنُواْ﴾، يضع لهم علامة.

إذاً – يا إخواني – الجهاد ماض:

ولكن كل الموضوع أن الله يريد أن يشرفنا، ويريد أن يكرمنا، ويريد أن يعظمنا، ويريد أن يجعلنا من الوجهاء في الدار الآخرة أو من الوجهاء عنده، فأكرمنا وجعلنا بالنيابة عن حبيبه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه.

وهل معنى هذا أننا جميعاً نرتقي المنابر ونكون خطباء؟ كلاَّ، لأن تبليغ دعوة رسول الله يكون كما قال الله ﷻ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١:الأحزاب)

ميزان الأحوال

فأنتم في هذه الأيام التي نحن فيها مطالبون وأنا معكم، مطالبون بأن نزن أحوالنا

١٣ رواه أحمد ومسلم والبزار عن ابن مسعود ﷺ.

بأحوال سيدنا رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ }[١٤]

من المرآة العظمى التي يرى فيه الكلُّ نفسه؟ سيدنا رسول الله. فيجب علينا في هذه الأيام أن ننظر إلى رسول الله كيف كان حاله؟ وكيف كانت معاملته؟ وكيف كانت أخلاقه؟ وكيف كانت عاداته؟ وكيف كانت سلوكياته وجهاده؟

كل هذه الأمور يزن الإنسان بها نفسه في هذه الأيام: (زنوا أنفسكم قبل أن توزن عليكم أعمالكم). كيف نزن أنفسنا؟ برسول الله ﷺ، فبه يقيس المرء نفسه من أجل أن يرى إذا كان مقصِّراً أو أنه أدَّى ما عليه؛ فإن كان مقصراً ندم واستغفر وسأل الله ﷻ الإقالة، وإن كان مكثراً حمد الله على ما أفاء عليه وسأل الله ﷻ الزيادة.

ففي يوم ميلاد رسول لله ﷺ هذا نزن أنفسنا ... ننظر أحواله وننظر أحوالنا، ونرى أعماله وأعمالنا، ونشاهد سلوكياته وسلوكياتنا، ونعلم أخلاقه وأخلاقنا.

واعلم علم اليقين – يا أخي – أن الإنسان منا لا ينتقل خطوة في طريق الله ﷻ إلا على أثر سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، لأن هذا الصراط الذي قال فيه ربنا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (١٥٣:الأنعام)

فهذا اسم إشارة لسيدنا رسول الله .. فهو الصراط المستقيم لنا! فلو كان هذا الصراط كما قال المفسرون: (الطريق)، لقال: (امشوا عليه)، لكنه ﷻ يقول: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، معنى هذا: أنه شخص أمامنا، حقيقة نورانية أمامنا نتمثلها ونستحضر جمالها وأخلاقها ونمشي خلفها، لكن لو كان الصراط كما يقولون الطريق، لقال: امشوا عليه، أو فاعبروه، أو فمروا عليه، لكن ربنا قال: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ ﷺ.

هذا الصراط المستقيم الذي نحن مأمورون أن نتبعه ﷺ في كل حركاتنا، وفي كل سكناتنا، وكلما زاد الإنسان منا في المتابعة لسيدنا ومولانا رسول الله كلما زاد مقامه عند

---

١٤ رواه أبوداود في سننه عن أبي هريرة ﷺ.

الله، وكلما فتح له من كنوز فضل الله ما لا يعلم قدره إلا الله ﷻ.

المتابعة الرافعة

فمفتاح الرُّقي إلى الله هو متابعة سيدنا ومولانا رسول الله، ومفتاح كنوز فضل الله هو متابعة سيدنا ومولانا رسول الله، فهو الصراط المستقيم الذي وضحه لنا الله، وأمرنا أن نتبعه في كل أنفاسنا وحركاتنا وسكناتنا صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا إيمان أكبر في المنزلة والمقام، فالإيمان الأكبر المتابعة، حتى قال فيه العارفون: يكون الإنسان خلف رسول الله القدَّ بالقدِّ، والنعل بالنعل، يعني: لا ينقل قدماً ولا يضعها إلا في موطن تأكد أن رسول الله وضعها فيه، ولا يرفع طرفاً لينظر إلاّ إلى شيء تأكد أن سيدنا رسول الله نظر إليه، وعلم الكيفية التي بها نظر إليه، فيكون في كل حركاته وسكناته خلفه ﷺ.

وهذه التي يقول فيها سيدي أبو العباس المرسي ﷺ وأرضاه: (بقى لي أربعون عاماً لو غاب عني ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المؤمنين). وهل معنى ذلك أنه لم يغب عنه بجسمه أو هيكله أو حقيقته؟ كلاَّ، ولكنه لم يغب عنه استحضار هذه الحقيقة المحمدية، لأنه في كل نفس من أنفاسه في عمل – إما عمل جسماني، وإما عمل لساني، وإما عمل قلبي، وإما عمل بجوارحه، وإما عمل بفكره، وإما عمل روحاني – فهو في عمل بأي حقيقة من الحقائق الإنسانية، وفي كل عمل من هذه الأعمال لابد أن يستحضر الإنسان كيف كان ﷺ يعمل هذا العمل ليحتذي به ويتأسى به صلوات الله وسلامه عليه.

ولما كان في كلِّ نَفَسٍ يستحضر رسول الله في العمل الذي يقوم به في هذا النفس، حتى في النوم فإنه يستحضر كيف كان ينام لينام على هيئته، وحتى في المداعبة يستحضر كيف كان يداعب ليداعب على حالته، وحتى في الجماع يستحضر كيف كان يجامع ليجامع على نيته صلوات الله وسلامه عليه؛ لأن الله ﷻ عندما أمر بهذا الأمر

قال تعالى فى كتابه الكريم:

﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ ﴾ (٢٢٣:البقرة):

يعني: لا تنسوا في هذا الأمر أن تقدموا النيَّة الصالحة، هذا معنى تقدموا المتابعة لسيدنا رسول الله حتى في هذا الأمر الشهواني والبهيمي، يستحضر الإنسان النوايا والخواطر التي كان يستحضرها سيدنا رسول الله ﷺ ليكون على أكمل المتابعة والمشابهة لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

إذن هناك إيمان لساني، وهناك إيمان مع النصرة والتعزيز والتعضيد، وهناك إيمان مع المشابهة والمتابعة للنبيِّ الكريم ﷺ.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾:

وتوقير رسول الله ﷺ – يا إخواني –الأكبر ليس في الشكليات التي دأبت عليها الناس، لكن توقير رسول الله بالنسبة للسالكين والمريدين والمحبين هو أن ينزِّه الإنسان حقيقته الإنسانية، وصورته الروحانية، أن تخالف خير البرية ﷺ في أي أمر ولو حقير أو صغير، حتى ولو كان من سنن العادات فضلاً عن سنن العبادات!

– فحتى في سنن العادات:

يسعى الصالحون ليصل الإنسان منهم إلى درجة أنه يحاول أن يكون أكمل الناس متابعة لسيد الناس ﷺ.

– حتى ورد أن الإمام أبا العزائم ﷺ وأرضاه :

كانت قد شُلَّتْ رجلاه في آخر عمره، وحملوه ليدخلوه المرحاض، وكانوا لا يتمكنون كل التمكن في هذه الحالة من السنة لشغلهم بحمله ..

لكنه ﷺ كان في مقام التمكن من استحضار حال رسول الله في هذا الأمر، يعني الذي يحمل يريد أن يؤدي المهمة بأي كيفية وانتهى الأمر، لكن همَّه كلَّه في متابعة

السنَّة، فأرادوا أن يدخلوه من الجهة اليمنى فردَّهم بقوة شديدة جداً وقال: خالفت رسول الله ﷺ!! ماذا أقول لرسول الله ﷺ؟ لأنه يستحضر رسول الله في كل عمل من الأعمال، ولو كان مثل هذا العمل الذي لا نلقي له بالاً!!

ومعظمنا لا يعبأ دخل باليمين أو بالشمال، لكن هؤلاء القوم ما وصلوا إلى هذه المقامات، وما ارتقوا على هذه الدرجات، إلاَّ بِحُسْنِ متابعتهم لسيدنا رسول الله ﷺ، فحتى في هذه الأمور الهينة في أعيننا، واللينة في نظرنا، ولكنها كبيرة في أعينهم لأن هفوة العارفين أكبر ذنب.

– وحتى أن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وأرضاه :

وقد جمع من الأحاديث ألف ألف حديث، بأسانيدهم ورواياتهم عن رسول الله ﷺ، جمع مليون حديث وحفظها بأسانيدها:

وكان من ضمن الذي ورد إليه أن سيدنا رسول الله كان يحب العنب والبطيخ، فكان يحب أن يأكل البطيخ ولكنه منع نفسه من تناوله، فقالوا له:

تروي لنا أن رسول الله كان يحب البطيخ فلماذا لا تأكله؟ [١٥] قال: لأنه لم يَرِدْ إليَّ بسند – يستريح إليه القلب – كيف كان ﷺ يأكل البطيخ؟ أي: بالكيفية التي كان يأكل بها! وأخاف أن آكل فأخالف الكيفية التي كان يأكل عليها سيدنا رسول الله ﷺ.

وبعد برهة من الزمن وصله الحديث الذي وصف له الكيفية، وأنه ﷺ يشُقُّ البطيخة نصفين، ثم يشقُّ كلَّ نصف قطعاً على هيئة الهلال، ويبدأ باليمين، ويأكل من اليمين إلى اليسار، فأكَلَ متشبِّهاً بالنبي المختار صلوات الله وسلامه عليه.

هذه الأحوال يا إخواني هي التي جعلت هؤلاء القوم يصلون إلى هذه الأحوال، وقد كان ﷺ يلاحظهم في ذلك، ويعاتبهم على أدنى هفوة يرتكبونها في ذلك، لماذا؟ لأنه

---

١٥ ولقد روى عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه ما اكل البطيخ فقيله له فى ذلك فقال مابلغنى كيف كان رسول الله عليه السلام يأكله فلما لم تبلغ اليه الكيفية فى ذلك تركه ، تفسير تنوير الأذهان

حريص على أن يبلغوا هذه المقامات العالية، والدرجات الراقية، والأنوار الصافية، لأنه كما قال الله:

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨:التوبة)

حريصٌ على أنَّنا نأخذ هذه المقامات، وننال هذه الدرجات، ونبلغ هذه المنازل الراقيات صلوات الله وسلامه عليه.

إذن كمال توقيره ﷺ :

- في توقير سُنَّته! ... وفي تعظيم شريعته!
- وفي الأخذ بمحبته صلوات الله وسلامه عليه! ... لكن مع ملاحظة أنواره القدسية وليس الوقوف على حركاته الجسمانية كما وقع في ذلك كثير من المتشبهين في هذه الأمة!!

فإن كثيراً منهم وقفوا على حركات الأجسام ولم ينظروا إلى حركات القلوب، وإلى حركات السرائر في متابعة حبيب الله ﷺ ...

وهذا هو المقياس الذي يزيد عليهم به الصالحون.

يعني: نحن نتشبه كما يتشبه إخواننا الَّذين ينسبون أنفسهم إلى السنَّة:

ونحن والحمد لله كلنا أهل سُنَّة، لكنا نزيد عليهم أنهم يتشبهون بالظاهر فقط ونحن نحاول قدر الاستطاعة، ونحاول بما يفيء الله علينا من أنوار المصطفى أن نقتفي أثره صلوات الله وسلامه عليه في حركاته القلبية، وفي خطراته النفسية، وفي فكراته العقلية، وفي توجهاته الروحانية، ونحن نتشبه به كمال التشبه في حركاته الجسمانية صلوات الله وسلامه عليه.

فإذا كان الإنسان منا يقوم بحركات الصلاة؛ فإن حركات الصلاة واحدة لكن الشأن في حركات القلوب أثناء الصلاة!

هذا الذي به تفاوت الدرجات، وهذا الذي فيه اختلاف العطاءات، فإننا جميعاً في صفٍ واحدٍ، وركوعنا واحد وسجودنا واحد، ولكن الفرق بيننا على حسب حضور قلبنا بين يدي الواحد عزَّ وجلَّ. ومن هنا كان اهتمام الصالحين بمتابعة سيد الأولين والآخرين ظاهراً وباطناً:

أَطَعْتُ رَسُولَ اللهِ حُبًّا لِوَصْلِهِ فَأَشْرَفَ بِي رَبِّي عَلَى حَضْرَةِ القُدْسِ

أطيع رسول الله في الظاهر! .. وأقتدي برسول الله وأقتفي بأثره ﷺ في الباطن!

من أجل أن يكون هذا هو الاقتداء الحقيقي برسول الله ﷺ لأن الله عندما قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾، لم يقل: (في مُحَمَّد)!!

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١:الأحزاب)

ورسول الله يعني: الجسم والروح والحقيقة، والفؤاد والقلب، وكل الكمالات التي ظهرت في سيد السادات ﷺ.

ولو قال: (لقد كان لكم في مُحَمَّد): يكون متابعة في الظاهر فقط!

لكن (رَسُولِ ٱللَّهِ): تكون المتابعة في الظاهر وفي الباطن ...

وهذا الأمر الذي يجعلنا نحتاج إلى الصالحين في هذا الأمر العظيم.

أنا أتابع رسول الله في الصلاة تمام التمام في الظاهر، لكن أريد أن أصل إلى العطاء الذي يحصل عليه الإنسان المؤمن في الصلاة!

كيف أصلي؟

لابد أن أتشبه برسول الله في حركاتي القلبية، وفي توجهاتي الروحانية،!

وهذه الأشياء لا يهتدي الإنسان إليها من الجهات التشريعية، وإنما من المعاني النورانية والتلميحات الحقيقية التي يلمح إليها العارفون، ويشير إليها الواصلون لأنها

موجودة في ثنايا كلام الله وفي وسط أحاديث رسول الله، ولا تلوح جهرة إلا للقلوب التي صفت لله ﷻ.

إذاً يا إخواني:

نحن مطالبون في هذه الأيام المباركة أن نحاول أن ننظر إلى المرآة العظمى سيدنا رسول الله ﷺ ونحاول أن ننظر إلى أنفسنا فيها، وننظر إلى أحوالنا فيها، وننظر إلى حركاتنا وسكناتنا فيها:

فإذا استطاع الإنسان أن يغيّر في هذا العام خُلُقاً واحداً من أخلاقه ويستبدله بِخُلُقٍ نبيل من أخلاق رسول الله فقد فاز فوزًا عظيماً، وكان له مقاماً عظيماً عند الله ﷻ، وإذا استطاع أن يمشي على هذا المنوال فإنه إن شاء الله سيصير من كُمَّلِ الرجال، لأن هذا هو طريق الرجال.

نسأل الله ﷻ أن يجمّلنا بجمال النبيّ المختار ... وأن يكمّلنا بهذه الأنوار ...

وأن يفتح لنا كنوز هذه الأسرار ... وأن يَصِلَ نُورَ قلوبنا بِنُورِ قلب النبي المختار .. وأن يجعلنا من الَّذين تمسكوا به في السرِّ والجهر، وفي العلانية والإظهار!

وفي المنام وفي الصحو، وفي الدنيا والآخرة ... حتى يكون ﷺ نوراً ظاهراً في قلوبنا، وجمالاً مُهَيِّماً لأرواحنا، وسِرًّا واضحاً بيننا بيَّنه حضرة ربّنا، وكنزاً من العطاء مفتوحاً لنا .. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

****

الفصل الثاني

فَضْلُ الصَّلاةِ

على النبـــــيِّ ﷺ

حقيقة الصلاة عليه

بركة الأعمال والأقوال

سرُّ جمال صورة البقاء

الفصل الثانى

فَضْلُ الصَّلاةِ على النَّبيِّ[١٦]

يــا ربِّ صــلِّ علــى مُحَمَّــد أحمـد حبيبـي ضـيا العيـون

قال الشيخ معلقًا على هذا البيت الذي أنشده المنشد من قصيدة للإمام أبي العزائم رضي الله عنه:

نحن أحوج ما نكون يا إخواني إلى الصلاة على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ في هـذا الـزمن الـذي نحـن فيـه، فقـد كثـرت المشـكلات، وزادت المعضـلات، وانتشـرت الآفـات، وكسـت الظلمـات، ولا مخرج لنـا منهـا إلا بنـور الله وحبيـب الله ومصـطفاه ﷺ، ليخرجنا – كما أخرج العرب وغير العرب – من الظلمات إلى النور. فهو ﷺ إلى يوم القيامة الذي يخرج الناس من كل الظلمات إلى نور الله ﷻ.

ومـع اخـتلاف الظلمـات يكـون اخـتلاف التوجهـات النورانيـة المحمديـة الموجهـة للقضاء على هذه الظلمات، وهذا سر قول الله ﷻ

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١٢٨:التوبة):

فهو ﷺ حريص على إخراجنا من كل مشكلة، وحريص على نجاتنا من كل

---

١٦ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٥ ربيع الأول ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٢/٩/٢م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة، في ذكرى الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ.

معضلة، وحريص على حمايتنا عند كل كارثة مذهلة، لكن علينا أن نقدِّم الطلب لله أننا نريد أن يخرجنا سيِّدنا ومولانا رسول الله ﷺ مما نتعرض له في هذه الحياة، ومما نخاف منه يوم لقاء الله، والطلب الذي نقدمه له .. ما هو؟

يـا ربِّ صـلِّ علـى مُحَمَّـد أحمد حبيبي ضيا العيـون

وهذا الطلب يا إخواني لا يرد:

بل إن الاستمارة المعتمدة في الملأ الأعلى، والنموذج الذي يعرض الإنسان فيه حاله على الله، والذي ينزل من السجل النبوي الإلهي، .. ما هو؟ لما وجد ﷺ رجلاً يكتب الطلب وبهذا الطلب يدعو الله ﷻ مباشرة، نادى عليه سيدنا ومولانا رسول ﷺ وقال له معلما ما يعنى أنه أخطأ طريقة كتابة هذا الطلب (الدعاء) فليست هكذا، فنظر إليه الرجل طويلاً فقال ﷺ مستأنفًا الكلام:

{ إذا سألتم الله حاجة فابدؤوا بالصلاة علي، فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويرد الأخرى }.[١٧]

إذن النموذج المحمدي لعرض الحال على الله؛

والذي يريد عرض حاله على الله ويستجيب له الله ماذا يفعل؟

- يبدأ بالصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يذكر حاجته – إن كانت حاجة من حاجات الدنيا، أو حاجة من حاجات الآخرة .

---

١٧ روى الترمذي وأبو داود عن فضالة بن عبيد ﷺ: {أن رجلاً دخل المسجد، فصلى فقال: رب اغفر لي وارحمني، فقال النبي ﷺ: (عجلت أيها المصلي، إذا دخلت فقعدت في الصلاة فاحمد الله، وصلِّ على النبي ﷺ، ثم سل حاجتك. ثم جاء رجل آخر، فصلَّى، فحمد الله وصلَّى على النبي ﷺ، ثم سأل حاجته، فقال له النبي ﷺ: (أيها المصلي، سَلْ تجب، أو ادع تجب }، وفى كشف الخفاء: قال في المقاصد وفي الإحياء مرفوعا مما لم أقف عليه وإنما هو عن أبي الدرداء من قوله: إذا سألتم الله حاجة فابدؤوا بالصلاة علي، فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويرد الأخرى، انتهى، ورواه عنه ابن الجزري في حصنه بلفظ إذا سألت الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلاة عليه فإن الله بكرمه يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

- ثم يصلِّي على رسول الله ﷺ.
- وفي الختام يتوجه إلى الله ﷻ.
- والله ﷻ يَقْبَلُ الصلاة التي في البداية والصلاة التي في النهاية، لأنه آلى على نفسه ألا يَرُدَّ صلاةً على حبيبه ومصطفاه مهما كان حال قائلها، إلا إذا كان يقولها على هيئة السخرية والاستهزاء، وهذا والعياذ بالله يتعرض لأشد البلاء، لكن إذا كان يقولها عبادة له، وتوجُّهاً إلى حضرة الله، فإن الله يَقْبَلُهَا بلا شك:

أدِمْ الصَّلاةَ عَلَى النّبِيّ مُحَمَّدٍ فقَبُولَهَا حَتْمٌ بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
أعْمَالَنَا بَيْنَ القَبُولِ وَرَدِّهَا إلاّ الصلاةَ عَلَى النّبِيّ مُحَمَّدِ

لأن أي عمل آخر لابد فيه مع قول اللسان من حضور القلب، ولذا يقول ﷺ:

{ لا يقبل الله دعاءً مِنْ قَلْبٍ لاهٍ }[١٨]

و(لاهٍ) يعني: مشغول، والذي يدعو الله سواء في الصلاة أو خارج الصلاة وهو مشغول في المصالح، أو في البيت، أو مع الأولاد أو غيره، لا يقبل الله منه هذا الدعاء، ولا يقبل الله الذكر لحضرته ﷻ إلاَّ إذا كان عن حضور قلب، ولا يقبل تلاوة القرآن إلا إذا كانت عن طهارة ظاهرة وباطنة للحنان المنان.

لكن الصلاة على رسول الله ﷺ مقبولة على كل حال، فهي الصلاة التي لم يشترط لها الله طهارة في بدايتها، والصلاة التي نصليها لله لا تنفع بغير وضوء، فلابد للإنسان أن يتوضأ قبلها ويتطهر قبلها لله عزَّ وجلَّ، لكن الصلاة على رسول الله ﷺ جائزة على أي حال، وتَصِحُّ على أي وضع، لأن الله ﷻ قال في شأنها:

---

١٨ رواه الترمذي في مسنده والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٥٦:الأحزاب)

وسلِّمُوا بما وراء ذلك من علم الله ﷻ. فأي عمل يحتاج الإنسان أن يقبله منه الله لابد أن يبدأه بالصلاة على رسول الله، ويختمه بالصلاة على رسول الله ﷺ.

حَقِيقَةُ الصَّلاةِ عَلَيْهِ

ولماذا طلب منا سيدنا رسول الله ﷺ أن نبدأ بالصلاة عليه ونختم بالصلاة عليه؟ لنستحضر كيف كان يتضرع ويرفع العمل لله؟ ونحن نصلي عليه في بداية كل عمل لنستحضر كيف كان ﷺ يعمل هذا العمل ويرفعه إلى حضرة الله ﷻ.

فالذي يدخل المسجد ويدعو بدعاء رسول الله ويقول:

{ اللهم افتح لنا أبواب رحمتك }[١٩]،

قبلها يصلي على النبيّ، وبعدها يصلي على النبيّ، وعندما يدخل يقول: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعدها يقول: { اللهم افتح لنا أبواب رحمتك }، وبعدها وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهكذا في كل أمر، يبدأ الإنسان فيه بالصلاة على رسول الله، وينهي هذا الأمر بالصلاة على رسول الله!

حتى المجالس حينما نبدأ المجالس بالصلاة والتسليم عليه لنستحضر أدبه في الجلوس، وكيفية نطقه أثناء الحديث، وأدبه في معاملة الجليس، ونستحضر قسمات وجهه عندما يتوجه بالمؤانسة للجليس، وهذه الأشياء كلها نستحضرها في المجلس، وبعدما ينتهي المجلس نصلى على رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

---

١٩ رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والترمذي في سننه والدرامي عن فاطمة.

{ ما جلس قوم في مجلس ثم قاموا بغير ذكر الله أو الصلاة عليَّ إلا وقاموا على أنتن من جيفة حمار }[٢٠].

لماذا؟

لأنهم لم يعرفوا الآداب المطلوبة في المجالس ... ، والتي كان يصنعها ويفصلها رسول الله ﷺ.

ونحن عندما نصلي على رسول الله ﷺ في بداية كل عمل:

لا يعني ذلك أن نقول: (بسم الله)، وبعدها نقول: (والصلاة والسلام عليك يا رسول الله) فقط، وإنما نستحضر :

- كيف كان يمشي؟
- وكيف كان ينظر إلى الأرض؟
- أو ينظر إلى السماء،؟ ويمينًا وشمالاً؟

فنجد أن وصفه – كما يقول الواصفون:

{ كان كل نظره الملاحظة }[٢١]

أي يراقب من حوله ويتفقدهم!

وكان يطيل الصمت ليتفكر في مخلوقات الله ﷻ!

وكان متواصل الأحزان لأن الدنيا ليس فيها شيء يطرف عينه فيفرح به عن الله ﷻ، وكان يديم النظر إلى الأرض ولا ينظر إلى السماء إلا لماماً.

---

٢٠ أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ

٢١ روى الحاكم والطبراني والبيهقي والشمائل المحمدية للترمذي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عن هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَ وَصَّافًا، عَنْ حِلْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وفيه: { جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلاحَظَةُ }.

بركة الأعمال والأقوال

وهكذا عندما يجلس الإنسان! .. وعندما يمشي الإنسان! .. وعندما ينام الإنسان! .. حتى في الموت علمنا عند الموت عندما نضع الميت في القبر نقول: (بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ)، لنجعله ينام كما علَّمنا رسول الله، وعندما نغسِّله نبدأ بـ (بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ)!

وهكذا – يا إخواني – المعلم عندما يبدأ الدرس لابد أن يبدأ بـ (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله)، ليستحضر الكيفية التي كان يدرس بها رسول الله ﷺ ، والهيئة التي كان يعلِّم بها أصحابه.

والطبيب عندما يجري عملية يبدأ بـ: (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله)، وكذلك الذي ينظر في الصحيفة يبدأ بـ: (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله)، والسائق الذي يقود السيارة كذلك يبدأ بـ: (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله). حتى الذي يلبس الحذاء ينبغي أن يقول قبل أن يضع رجله في الحذاء: (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله)، لماذا؟ ليستحضر، وحتى لبس الحذاء فيه استحضار!! طبعاً، كان رسول الله ﷺ يلبس الحذاء على حالته، وفي ذات يوم أراد أن يلبسه فيروى أبو أمامة ويقول :

{ دعا رسول الله ﷺ بخفيه يلبسهما فلبس إحداهما ثم جاء غراب فاحتمل الأخرى فرمى بها فخرجت منها حية، فقال النبي ﷺ: مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الأخِرِ فَلا يَلْبَسْ خُفَّيْهِ – حذاءه– حَتّى يَنْفِضْهُما }[٢٢]

٢٢ الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ﷺ.

وهكذا علَّمنا ﷺ وعلَّم أصحابه الهيئة التي نلبس بها الحذاء، فالإنسان عندما يلبسه يتذكر فينفضه تأسياً برسول الله ﷺ.

إذن يا إخواني نحن محتاجون إلى أن نتأسى بسيدنا رسول الله ﷺ في كل حركاتنا وسكناتنا، لأنه حتى الأمور العادية لو تأسينا فيها برسول الله ﷺ تصير أموراً تعبدية، فهي أمور عادية لكن الأسوة فيها برسول الله تجعلها عبادة تُقَرِّبُ الإنسان إلى حضرة الله. يعني مثلا: كلنا ننظر في المرآة مرارًا وتكراراً، ويمكن النساء أكثر، لكن لو أن الإنسان ينظر في المرآة وقال ما قال رسول الله:

{ بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله[٢٣]، اللهُمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي }[٢٤].

أصبح النظر في المرآة عبادة، وهذا دعاء، وآخر الدعاء يقول: وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا الدعاء لو نظر الإنسان منا في المرآة ويقوله يستجيب له الله ﷻ، لماذا؟

لأنه لو نظر للمرآة بغير هذا الدعاء ممكن يصاب بالغرور، وعندما يغرُّ يضرُّ، فقد ينظر إلى شكله وينظر إلى تقاطيع وجهه، أو المرأة تنظر إلى ملامحها وتنظر إلى مفاتنها، أو إلى شعرها، ثم تظن أنها على شيء، وأن هذا يرجع إلى مهارتها، أو يرجع إلى شطارتها أو غيره ...

لكن عندما يذكر الدعاء :

يعرف أن هذه الخِلْقَة وهذه الصنعة الفضل فيها لله، والشكر فيها لله، فإنه ﷻ خَلَقَنَا كما يريد، لا كما نحن نريد، ولم يخيِّر واحداً فينا في ملامحه وتقاطيع وجهه.

---

٢٣ لاستحباب التسمية عند الشروع فى أى أمر وكذا الصلاة على النبى ﷺ قبل الدعاء.

٢٤ رواه أحمد في مسنده وبن حبان في صحيحه وأبو يعلي في مسنده عن بن مسعود ﷺ

فعندما يبني المرء بيتاً ليس له مثيل، إلى من يرجع الفضل في بناء هذا البيت؟ لصاحب المال أو البنَّاء؟ الفضل لاشك للبنَّاء الذي بناه، لأن مهارته هي التي صنعت هذا البناء، وليس للذي دفع التكلفة والمال. كذلك الفضل يرجع لله ﷻ. فإذا كان الإنسان جميل الصورة فليتذكر قول الله:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (٦:آل عمران)

هو الذي صوَّره!!

وإذا كان جميل العينين يتذكر قول الله ﷻ:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ (٨:البلد)

وإذا كان جميل الفم واللسان يتذكر قوله سبحانه:

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ (٩البلد)

وهكذا كلما ينظر إلى شيء يعجبه في صورته يتذكر الخالق فيشكره على ما تفضل به عليه، وعلى ما جمَّله به من كمال الهيئة ومن جمال الصورة ..

فيكون ناسباً هذه الصورة الجميلة لله ﷻ، شاكرًا له سبحانه على ما حباه به من جمال الطلعة ومن جمال الحلية، فيسجد بين يدي الله بهذه الصورة البهيَّة التي خلقها وكمَّلها الله ﷻ، فيحفظه الله ﷻ من داء العُجْبِ ومرض الغرور!

ومعظم مشاكل الناس في هذه الحياة سببها الغرور ..

ومتى يصاب المرء بالغرور؟

عندما يعتقد أن هذه الأشياء مِلْكُهُ وهو الذي صوَّرها، وهو الذي صنعها، وهو الذي خلقها، وهو الذي حسَّنها، حتى أنك تسمع كثيراً من النساء يتجاوزن الحدود في ذلك!! فتقول إحداهن للأخرى مشيرة إلى ابنها الجميل، أو ابنتها الجميلة:

(أنتم تعرفوا تجيبوا واحدة مثل هذه) وهل هم الَّذين جاءوا بها؟!!

مَنْ الذي جاء بها؟ الله ﷻ، ومن الذي أعطى؟

الله ﷻ،!

والله ﷻ هو الذي يعطي !

وهو الذي يحفظ، وهذه مهمة ثانية:

هو أعطى صحيح لكن لو لم يحفظ تصير مشكلة كبيرة!!!

فقد أعطاني العينين لكن إذا لم يتوكل لي بحفظ العينين فإن الضرر سيلحقني لا مفرَّ، وأنا أريد الحفيظ يحفظ لي جمال العينين، ويحفظ لي نور العينين، ويحفظ لي بهاء العينين، وكذا في الأذنين، وكذا في الصورة، وكذا في العقل، وكذا في كل شيء أعطاني الله ﷻ.

إذن المؤمن عندما ينظر في الصورة – كما كان ﷺ ينظر في المرآة – ينسب الفضل والجمال والنعمة والكمال كلها لمن؟

لله ﷻ، ويفتش بعد ذلك الحساب على ماذا يا رب؟

يا تُرى على الصورة؟ لا!

لأنه هو الذي صوَّرها!

على اللون؟ لا! .. لأنه هو الذي صبغ:

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾(١٣٨:البقرة)

هذا اللون والصبغة بضاعته، وهي من أول الولادة حتى الموت، وهي تحافظ على نفس النِّسَبِ التي تظهر بها لوني، فلو تغيَّرت النِّسَبُ لحظة نسرع إلى طبيب الأمراض الجلدية، وربما لا يستطيع أن يصنع شيئاً.

فهو الذي أعطى جمال الصورة، وهو الذي أعطى تناسق اللون، حتى يمكن نرى إنساناً أسود لكن شكله جميل!! لماذا؟

لأن تناسق العليِّ الكبير أعطى له شكلاً جميلاً!!

وإنساناً أبيض شديد البياض، وشكله ليس جميلاً، لماذا؟

تلك أمور يختص بها العليُّ الكبير ﷻ. صحيح المعمل في بطن الأم، لكن أين الأم التي تستطيع أن تتحكم في خطوات ذلك المعمل؟ كي نقول لها: تقدري تجيبي واحدة مثل هذه، من الذي يحدِّد ويتحكم في المعمل؟ الله ﷻ.

والعلم الحديث – مع التقدم الذي وصلت إليه الهندسة الوراثية –:

لن يقدر على تغيير في خَلْقٍ إلا بأمر الله، وبتقدير الله، وبتدبير الله ﷻ!

وكل شيء يتدخلون فيه يفسدوه!! فلا يوجد شيء يتدخل فيه الإنسان ليعارض به أو يغيِّر به خلق الله أو قدرة الله إلا وأفسد!

فإذا أراد أن يغيِّر البشرة، أو يغيِّر الهيئة، أو يغيِّر الصورة يفسدها!!

وهكذا أيُّ شيء يتدخل فيه الإنسان ليغيِّر طبيعة الله وتصوير الله وتدبير الله فإنه يفسده؛ لأن الله ﷻ وضع – بأنامله الإلهية، وأقداره الربانية، ومعالمه النورانية، وقدراته اللانهائية – هذه الهيئة الإنسانية التي تعجز كل المعامل البشرية عن إيجاد شريحة واحدة في جلد إنسان على الهيئة التي كونها الحنَّان المنَّان ﷻ.

شريحة واحدة ...

أو نقطة واحدة في جسم إنسان – ظاهرة أو باطنة – اختل فيها مصنع الأنسجة الإلهية وتغيرت عن بقية الإنسان:

هل تقدر معامل الوجود كلُّه أن تجعلها تتناسب مع بقية المصنع الإلهي، مصنع الأنسجة الإلهية، إلا إذا أراد الله، وإلا إذا شاء الله ﷻ.

سر جمال صورة البقاء

فالإنسان إذا نظر إلى جمال هيئته وتفصيل صورته في المرآة، يحمد الله أنه جعل لونه مليحاً، وشكله مقبولاً وجميلاً، وهيئته حسنة، ويرفع الأمر إلى الله أن يُحَسِّنَ له ما به ينال حسن هذه الصورة يوم لقاء الله ﷻ، لأن الصورة ليست دائمة، لأنها يوم القيامة تكون الصورة على حسب السريرة. الصورة هنا – لأنها دار ابتلاء – على حسب عطاء الله وتقدير الله وفضل الله ﷻ، لكن الهيئة والصورة يوم لقاء الله على حسب سريرة العبد فيما بينه وبين الله:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (١٠٦:آل عمران)

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (٦٠:الزمر)

الَّذين يكذبون على الله، واَذين يكذبون على رسول الله، والَّذين يكذبون على أهل الإيمان بالله عزَّ وجلَّ، فهذه خصلة، أو هذه بلوى، أو هذا داء انتشر في عصرنا، وهذه هي المصيبة يا إخواني.

وهذا الوباء الذي انتشر في عصرنا هذا ما سببه؟

أي لماذا نكذب؟

أحياناً بسبب حب المال، وآونة من أجل إنسان مثلنا لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا ضراً ولا نفعاً !!

وآونة أخرى لأن الإنسان قد يكون خائفاً من الإحراج، وربما لأن الإنسان يطمع في شيء دنيوي – وقد لا يحصل عليه – وجائز يكذب ويكذب في سلسلة طويلة من أجل حاجة قليلة، وفي النهاية لا ينالها، ويظل عليه في كذبه الذي يعرض به على الله فيسود وجهه يوم لقاء الله ﷻ. فالمؤمنون يقولون: يا ربِّ كما أحسنت هذه الصورة هنا، نتضرع إليك أن تكون هذه الصورة جميلة هناك:

{ اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي }[٢٥]

لماذا؟ لأن الأمر يوم القيامة على الخُلُق!!

يُبعث الناس يوم القيامة لا على هيئاتهم ولا على صورهم ولا على ألوانهم، وإنما على أخلاقهم وعلى أعمالهم يوم لقاء الله ﷻ

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(١٠٧آل عمران):

ما الذي يبيض وجوهنا هناك؟ قال ﷺ:

{ تأتي أمتي يوم القيامة غُرًّا - والغرَّة نور أعلى الوجه - محجلين من أثر الوضوء }[٢٦].

هذا النور يكون في الوجه وفي اليدين وفي الرجلين وفي الذراعين، والنور يكون على حسب عمل الإنسان، لذا فأقلهم يقول فيه ﷺ:

{ (أقل المؤمنين نورًا من يضيء له نوره إبهام قدميه }[٢٧].

أي على قدر أصبعه الأكبر، وهناك من الناس من يضيء حُسنه لأهل الموقف كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، من أين هذا الحسن؟ من العمل.

وأهل النفاق يوم القيامة وجوههم مسودة:

﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ (١٣:الحديد)

---

٢٥ رواه أحمد في مسنده وبن حبان في صحيحه وأبو يعلي في مسنده عن بن مسعود رضي الله عنه

٢٦ البخاري عن أبي هريرة ﷺ

٢٧ رواه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ بلفظ: (حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ)

أعطونا قبساً من نوركم كي نمشي على ضوئكم، فيقولون:

﴿ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾

أي هذا النور جاء من الدنيا، لأنه نور الأعمال الصالحة.

ولذا يا إخواني ينبغي على كل واحد منا أن ينظر إلى النهاية، ويطلب من الله أن يتم نوره فيظهره بين يدي حضرة المعبود، وهذا هو الذي فيه الفضل يوم اللقاء المشهود أمام الخلائق أجمعين.

إذا الوُجُوهُ خَلَتْ مِنْ نُورِ سَجْدَتِهَا لَمْ تَسْتَحِقْ غَدَاةَ المَوْتِ أَكْفَانَاً

فالوجوه التي خلت من نور السجود ونور الصلاح ونور الوضوء، ولو كانت لواحدة من الإفرنج (أهل الغرب) ملوك الجمال وملكات الجمال، لكن عند الموت لا تستحق حتى الكفن الذي نكفنها به:

لأنها ماتت عن ذكر الله، فأصبحت في نظر الله جيفة عفنة ولها عذاب شديد يوم لقاء الله ﷻ .....

والقلوب المشغولة بالدنيا، والمشغولة بالمشاكل، والمشغولة بالتطلعات، والمشغولة بالتبرج، والمشغولة بزينة الحياة الدنيا، والمشغولة بالتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد، ونسمع منهم ما نسمع من الجماعة الجاهلين التفاخر بالأموال والأحساب والأجسام والأنساب.

إذَا القُلُوبُ خَلَتْ مِنْ ذِكْرِ خَالِقِهَا فَهِيَ الصُّخُورُ التِي رُكِّبَتْ أَبْدَاناً

صارت كالصخور في الأبدان!

لأن الفقر يوم القيامة – يا إخواني – في الأعمال الصالحة والبضاعة الرابحة، التي هي الأخلاق الكريمة التي نرجو الله ﷻ أن يكرمنا بها، وأن يعيننا على إحيائها في هذا الزمان، لأن يوم القيامة ستكون المنازل الكريمة لمن؟!!

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣:الزمر)

الجماعة الصادقون في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وسلوكهم مع الله ومع رسول الله ﷺ، هؤلاء هم الَّذين لهم الوجاهة هناك.

وفي الصداقات:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (٦٧:الزخرف)

وذلك إذا كانت الصداقة لدنيا أو لمنفعة أو لمأرب أو لمصلحة، أما الصداقة الباقية فلمن؟:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾

ماذا يقول لهم المولى ﷻ؟

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(٦٨:الزخرف)

أنتم الَّذين لكم الوجاهة، وأنتم الَّذين لكم الهيئة، وأنتم الَّذين لكم المقام العالي عندنا.

فنسأل الله ﷻ أن يكرمنا بمتابعة سيدنا ومولانا رسول الله!

وأن يرزقنا الحُبَّ الخالص لوجهه الكريم!

وأن يوفقنا للعمل الخالص الذي ينفعنا يوم لقائه.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث

ثناء الصالحين على سيد المرسلين

صور الحبيب المصطفى

الكمال المحمدي

سرُّ الحب لله والإيمان

بين المُحِبِّ والمَحْبُوب

تفقد الرسول ﷺ لأحبابه

صدأ القلوب وعلاجه

الفصل الثالث

ثَنَاءُ الصالحين على سيِّد المرسلين[٢٨]

الحمد لله الذي أكرمنا بالفضل والهدى والنور، والفتح والفلاح والنجاح على يد الرسول الكريم، سيِّدنا ومولانا مُحَمَّد باب كلِّ صلاح، ومفتاح كلِّ نجاح، ورمز الوصول إلى حضرة الفتاح، واللغز الذي بفضله يشرق المصباح، والكنز الذي إذا فُكَّ بدا على المرء التُّقى والصلاح، والفضل الذي خصَّنا به من الأزل المنعم الفتاح.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، صلاة تَصِلُنَا بنوره، وتجعلنا من أهل ودِّه وسروره، وترزقنا بها معيَّته وتجعلنا بها في زمرته، وتجعلنا معه ﷺ في الدنيا والآخرة، في اليقظة والمنام، في الحِلِّ والترحال، نحن وإخواننا وأحبابنا والمسلمين أجمعين.

أما بعد:

فيا إخواني ويا أحبابي: تقف العبارات وتنعقد الألسنة، إذا كان الحديث عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، لأنه ماذا يقول القائلون؟!! وماذا يُعبِّرُ عن معانيه المعبرون؟!! إلا إذا كان هذا بفيض على قلوبهم من عِلْمِ الله المكنون!!

فإنه ﷺ لم يطَّلع على حقيقة حاله، ولم يره في الحقيقة على هيئته أو على مثاله، إلا الله ﷻ، وما سوى ذلك فالكلُّ يقول على قدره، ويبيِّن بما شَرَحَ الله ﷻ به صدره، وليس على قدر الحقيقة المحمدية والأنوار المصطفوية، فكلُّنا فيها يا إخواني حمقى إلا إذا علَّمنا العليم ﷻ:

---

٢٨ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٠ من ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/٨/١٨م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة - بمناسبة ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ.

عَجَزَ الوَرَى عَنْ فَهْمِ سِرِّ مُحَمَّدٍ لَـــمْ يَـــدْرِهِ إلاَّ الإِلـــهُ القَـــادِرُ

لا أحد يدريه ولا يدري شيئاً من معانيه إلا الله ﷻ، ويذيق الله ﷻ قلوب المحبين على قدر ما تتحمل من أنوار ومعاني وجمالات سيّد الأولين والآخرين ﷺ، أما كماله الذاتي، وأما جماله الوهبي، وأما سرُّه القدسي، فهذه أشياء يتوه فيها حتَّى الرسل والأنبياء، لأنه ﷺ كما قال البوصيري ﷺ وأرضاه:

وَكلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلُ الكِرَامُ بِهَا فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِم
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعــرُبُ عَنــهُ نَــاطِقٌ بِفَــمِ

أي لا أحد من الخلق يستطيع أن يُعْرب أو يفصح أو يتكلم عن فضل رسول الله ﷺ، ولعلكم تتذكرون أن سيدنا عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه الذي تغنى في ذات الحقِّ بالقصائد والمواجيد التي تؤجج القلوب والأرواح، لما انتقل إلى جوار ربّه، رآه أحد الصالحين في المنام فقال له: يا سيدي لقد أكثرت من مناجاة ربّك، ومن الثناء على ربّك، فَلِمَ لَمْ تمدح حبيب الله ومصطفاه ﷺ ؟ فَرَدَّ عليه في المنام بهذين البيتين:

أَرَى كلَّ مَدْحٍ فِي النَّبِيِّ مُقَصِّرًا وإِنْ بَالَغَ المُثْنِي عَلَيْهِ وَأَكْـــثَرَ
إذا كان اللهُ أَثْنَى بِمَا هُوَ أَهْلُــهُ عَلَيْهِ فَمَا مِقْدَارُ مَا يَمْدَحُ الوَرَى

من الذي عنده المقدرة على الثناء عليه بعد ثناء الله؟

ومن الذي يستطيع أن يمدح بعد مدح الله لحبيب الله ومصطفاه؟

ومن الذي يستطيع أن يصف سيدنا رسول الله – ولو حتى كشف الله ﷻ له الحجب ورآه – كما وصفه الله في كتاب الله، وكما تحدث عنه الله في آيات كتاب الله ﷻ؟ لا أحد أبداً يا إخواني!!

لكن كل واحد من الصالحين والمقربين يعبر عن مضنون حبّه لسيّد الأولين والآخرين، فإذا عبَّر فلا يعبر عن الأوصاف المحمدية، أو عن الأنوار الأحمدية، وإنما يُعبِّر عن المحبَّة الذاتية المكنونة في فؤاده وصدره للحبيب صلوات الله وسلامه عليه.

ولذلك نعرف مقامات الرجال من توصيفهم لحبيب ومصطفاه ﷺ، لماذا؟

لأن كل رجل يُعبر على قدر ما عنده من حُبٍّ ومن وجد، ومن هوىً ومن عشق، ومن صبوة ومن غرام لسيدنا رسول الله ﷺ.

فقد قيل لرجل من الصالحين: ما رأيك في ابن الفارض؟

قال: عصفور حام حول الحمى ودندن!!

يعنى لم يدخل ولم يرَ الجمالات أو الكمالات أو الإشراقات أو التنزلات التي يراها الصالحون، والتي يطلع عليها المقربون، ومع هذا سموه سلطان العاشقين!!

وكان الناس الَّذين يسمون عندهم فطنة، (سلطان العاشقين)!! لأن هناك بعد ذلك سلطان العارفين، وهناك سلطان المحبين، وسلطان الموحدين، وسلطان المقربين، وسلطان المخلصين، وهناك كثير من المقامات فوق ذلك.

فهو أخذ على قدر الذي كان عنده من العشق والهيام، فالذي تأجج في قلبه من الحبِّ لرسول الله ﷺ عبَّر عنه، والعشق والهيام الذي عاش فيه لله ﷻ تحدث عنه وتكلم عنه ﷺ وأرضاه، وهذا الذي جعل الإمام أبا العزائم ﷺوأرضاه يقول: أنا أتكلم على قدري.

عَلَى قَدْرِي أَصُوغُ لَكَ المَدِيحا وَمَدْحُكَ صَاغَهُ رَبِّي صَرِيحا

ثم يقول أنا مَنْ حتى أتحدث عن رسول الله؟!!:

ومن أنا يا إمام الرسل حتى أوفي قدرك السامي شروحا

إذن عن ماذا تعبر؟

ولكني أحبك ملء قلبي فأسعد بالوصال فتىً جريحا

أي أنا أعبر عن الشيء الموجود في وجدي وفي فؤادي وفي قلبي لرسول الله ﷺ.

صور الحبيب المصطفى

إذاً يا إخواني كل ما تحدث عنه المتحدثون من البدء إلى الختام إنما هو تعبير عن شوقهم وغرامهم للمصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ...

لأنه صلوات الله وسلامه عليه مدحه الله بآيات واضحة وجلية وبيّنة في القرآن، لم يتكلم عنه بأسلوب الغَيْبَةِ، بل تكلم عنه بأسلوب فصيح وواضح للكُلّ، مثل هذه الآية التي سمعناها حيث يقول لنا والَّذين من قبلنا والَّذين من بعدنا:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ (١٢٨:التوبة)

هل جاء لأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ ومعاصريهم فقط؟!!

كلاَّ،!! ولكن كما جاء لهم جاء لنا:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨:التوبة):

فقد جاء لنا مثلما جاء لأصحابه صلوات الله وسلامه عليه. فقد جاء لأصحابه بالصورة المحمدية وجاء لنا بالصورة الأحمدية الروحانية، التي تلقَّى منها الأنبياء والرسل السابقون.

الصورة المحمدية ....التي نحتفي بها في هذه الليلة لذكرى وجودها وظهورها في عالم الأكوان ..

لكن الصورة الأحمدية :

بَـرَزَتْ قبل خلق الأكوان، وأعدَّها الله ﷻ قبل أن يكون هناك زمان أو مكان، وكانت هذه الصورة تطوف حول قدس الحنَّان المنَّان ﷻ قبل خلق العرش، وقبل خلق الكرسي، وقبل خلق القلم، وقبل خلق الخلق، قال ﷺ:

{ إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة }[٢٩].

ومنذ هذه البداية كانت الصورة الأحمدية ... ولذلك لما جاء سيدنا عيسى يخبر قومه عنه أخبرهم بما رأى وبما عاين، وبالصورة التي كان يتلقى منها، وهي صورة رسول الله ﷺ الروحانية النورانية، وقال فيها كما أخبر عنه الله:

﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (٦:الصف)

فـ (أحمد) بالصورة الروحانية وبالصورة النورانية التي يتنعم بها المقربون ويتنعم بها الصالحون، كما نعِم بها النبيون والمرسلون قبل بروز الصورة المحمدية التي في عالم الأكوان. والصورة التي تكون للكُلِّ، ويتمتع بها الكل في وقت واحد، ومنهاج واحد، وفي حضرة الواحد هي الصورة المحمودية:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩:الإسراء)

فالكلُّ يحمده، يعني: يشكره. لماذا؟ لمعرفة الفضل الذي تفضل علينا به الله ببركته، والفضل الذي ساقه إلينا الله بعنايته، والفضل الذي غمرنا به ببركته. فالكل سيكون من البدء إلى الختام يشكر الله ﷻ على رسول الله ﷺ، وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه بشأنه الأولون والآخرون على ما خصَّهم به وببركته الله ﷻ إلى يوم القيامة.

فالصورة الأحمدية موجودة يا إخواني لا تغيب ولا تختفي، ولا تنحرف ولا تتحول، ولا تتغير ولا تتبدل، بل دائماً وأبداً أنوارها في ازدياد. هذه الصورة مستمرة إلى يوم الدين، وفيها يقول سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه:

أفلتْ شموسُ الأولين وشَمْسُنَا أبداً على فلك العُلا لا تَغْرُب

---

٢٩ صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

هذه الصورة التي تسمع الصلوات التي نصليها عليه، وهي التي تسمع السلام الذي نلقيه في كل تشهد عليه، لأننا نقول له: (السلام عليك)، ولم نقل السلام على النبيّ، ولكن نقول: (السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته)، والسلام سنة والرَّد فرض، وهو ﷺ يقول:

{ ما من مسلم يُسلم عليَّ إلاَّ رَدَّ الله روحي حتى أرد عليه السلام }[٣٠]

فلابد أن يرد صلوات الله وسلامه عليه – السلام على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة يلقي عليه السلام. كيف؟

من الصورة الأحمدية الكاملة النورانية التي لا تغيب عن أي بقعة من الكون، ولا تنقطع في أي نَفَسٍ من الكون، بل دائماً وأبداً حيَّة، لأنها حيَّة بالله ﷻ، وتسمع بالله، وتبصر بالله، وترد بلسان حضرة الله ﷻ، هذه الصورة موجودة، وقد أعلن الله لنا بهذه الآيات أنه ﷺ معنا في كل أحوالنا، في ليلنا وفي نهارنا، في سرَّائنا وفي كوارثنا ومصائبنا وآلامنا، حيث قال فيه:

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾(١٢٨:التوبة)

والعنت: يعني المشقة، فكل مشقة نتعرض لها يتأسف هو عليها، ويحزن لأجلها. إذا كان ﷺ يتأسف على أحوال الكافرين، فكلما يزيد عنادهم وكلما يزيد كفرهم، يحزن عليهم!!! حتى قال له الله اتركهم فقل تعالى فى (٦:الكهف):

﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾

فما بالك بمشاعره وأحاسيسه نحو إخوانه المؤمنين؟!!

---

٣٠ أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه فى مجموع فتاوى بن تيمية.

الكمال المحمدي

قال الشيخ بعد صلاة العشاء:

إذا كنت أظهر غيبًا هل عندكم تسليم
غَيْباً وَغَيْباً عَلِيًّا لَمْ يُبْدِهِ تَعْلِيمُ

نحن سنتمعَّن مليًّا في الآية التي سمعناها على حسب ما فتح الله ﷻ به علينا، لأننا كلنا والحمد لله حافظين للسيرة النبوية وأحداثها وتواريخها، لكنا نريد أن نتمتع بالكمالات المحمدية، وبالأنوار المصطفوية، وهذه مبثوثة في ثنايا الآيات القرآنية:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾

وقال في آية أخرى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [٢١:الروم]

يعني أزواجنا من أنفسنا

وورد بالقراءة الثانية:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾

وهذا يعني أن النَّفْسَ فيها ناحية شهوانية، وفيها ناحية جمادية، وفيها ناحية حيوانية، وهي التي تبحث عن الأكل والشرب والنكاح وغيره ... وفيها لمعة نُورانية تبحث عن الله وعن كتاب الله وعن رسول الله، وهذه النورانية التي فينا من رسول الله ﷺ ، لكن الشهوة التي فينا – والغرض منها بقاء سرِّ الحياة ممتدًا إلى أن ينفذ أمر الله ﷻ، وليست الشهوة للشهوة، وإنما لبقاء سرِّ الحياة حتى تمتد الحياة.

لكن رسول الله كيف نجده في صدورنا، ونجده في حاجاتنا وذاكرتنا؟

من النورانية التي فينا والتي توجِّهُنا إلى الخير، حيث نجد فيها إلهام رسول الله لنا، ونجد فيها نور رسول الله يبين لنا، ونجد فيها فضل رسول الله يجذبنا إليه، ونجد فيها شمائل رسول الله تدفعنا إليه، فكأنها إذاعة خاصة تؤثر في قلوبنا خاصة بالحبيب المحبوب صلوات الله وسلامه عليه، وهذا ما عبَّر عنه رسول الله ﷺ حيث يقول:

{ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ ثم ألقى عليهم من نورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ النُّورُ اهْتَدَى، ومَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }[٣١].

سرُّ الحُبِّ لله والإيمان

فالهداية التي معنا والتي حولينا كلها جاءت من النور الذي فينا من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

وبمعنى آخر :

كل واحد آمن بالله ورسوله يكون معنى الإيمان: أنه عمل عقداً مع شركة كهرباء نور الحنان المنان ليوصلوا له نور النبي العدنان في القلب وفي الجنان، ومن غير هذا النور لا يقدر يروح ولا يجيء، ولا يمشي ولا يتحرك في طريق الله ﷻ، يمشي في الدنيا مثل أهل الدنيا ... !!!

لكن لا يستطيع أن يمشي مع المؤمنين، لا يستطيع أن يمشي إلا إذا وصَّلوا له تياراً من النور من حضرة الرسول ﷺ، ولذلك كانوا يغنُّون ويقولون:

أبـــدًا تحـــنُّ نفوســـنا وقلوبُنـــا وحنينهـــا دومـــاً لأول منـــزل
نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى مـــا الحـــبُّ إلا للحبيـــب الأول

فالذي يشغل قلبه بحب فلانة أو علانة أو الأموال أو المناصب ..

---

٣١ مسند الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

بكل هذا يضحك عليه، وعندما تحضر ساعة الصفاء يعرف أن كل ذلك كان باطلاً؛ لأن الحب لا يكون إلا للحبيب الأول صلوات الله وسلامه عليه!

فالذي وقع عليه يبقى هذا فضل الله غامره وفضل الله عليه، والذي لم يصل إليه يبقى تائهاً يا إخواني في صحراء، تتخبطه الشهوات، وتتلاطمه الأهواء؛ وهذا يحتاج لعناية من الله ﷻ ليردَّ إلى فضل الله الذي يقول فيه الله:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [٢٩:الأنفال]

فقد قال إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه: (أحبَّ ما فيك منه، لأنه هو المحبوب له لا أنت)، أي أنه يحبُّك لما فيك من رسول الله ﷺ، وهذا السبب الذي من أجله اختصنا الله ﷻ بالمحبة في قوله:

﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٥٤:المائدة]

فهو الذي أحبنا أولاً!

لأنه وضع فينا سرَّ الحب، وزرع الحب، ونبات الحب، عندما وضع فينا قبساً من نور حبيبه صلوات الله وسلامه عليه ..

حتى لما يجئ الناس يتحدثون عن الحب ويأتوا بالقصص العجيبة والأحوال الغريبة يقول لهم الله: إياكم أن تظنوا أن أحداً من الأولين أو الآخرين سيصل إلى حبِّ واحد عادي أو عامي من جموع المؤمنين:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ [١٦٥:البقرة]

فكلما ترى أحدًا يحب شيئًا حبًّا جمًّا .... يملك شغاف قلبه .... تعلم علم اليقين أنه لم يصل إلى عشر معشار ما يحبه رجل من عوام المؤمنين لله ﷻ ... .. فما بالك بأهل الخصوصية؟

ويحكي عنهم سيدنا السري السقطي ﷺ وأرضاه لتلميذه الجنيد فيقول:

((حكى لي السري فقال:

رأيت ربَّ العزة في النوم، وأوقفني بين يديه وقال: يا سري، تعلم من أحبابي؟ وما مقدارهم عندي؟. قال: قلت: لا يا رب، قال: إني خلقت الخلق ثم فتحت عليهم أبواب الدنيا فهرب تسعة أعشارهم إليها ولم يبق إلا العشر! ففتحت لهم وعرضت لهم نعيم الجنة فهرب تسعة أعشار العشر ولم يبق إلا عشر العشر! فسلطت عليهم النار فهرب تسعة أعشار عشر عشر العشر ولم يبق إلا عشر عشر العشر!

فسلطت عليهم البلاء فلم يفروا، فزدتهم بلاءً فلم يتغيروا، وقالوا: وعزَّتك وجلالك لو صببت علينا البلاء صبًّا ما تحولنا عنك!

فقلت لهم: وما تريدون؟ قالوا: لا نريد إلا جمال وجهك.

فقال: أنتم عبادي حقًّا وأوليائي صدقاً)).

ما مبلغ حب هؤلاء؟ لا أحد يقدر أن يصفه!!

ولكن يكفيهم قول الله ﷻ فيهم ولهم:

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٥٤:المائدة]

بين المُحِبِّ والمَحْبُوب

ومن يريد أن يكون قريبًا منهم فعليه بقول الله ﷻ [٣١ آل عمران]:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

وإن كان هناك فرق بين المنزلتين وبين المطلوبين وبين الطالبين، بين السالكين المجـدِّين وبين المجتبين والمصطفين والَّذين اختارهم من الأزل رب العالمين ﷻ، وشتان بين الصنفين.

شتان بين مطلوبٍ ومَنْ طَلَبَ كالشمس في الماء تبدو صورة عجبا

هل الشمس الظاهرة في الأفق كالشمس أثناء ظهورها في الماء؟!! وكذلك الأمر، فالمطلوب من غير سؤال يقول له الله ﷻ:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [١:الشرح]

والآخر يدعو بإلحاح ويقول:

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ [٢٥:طه]

المطلوب يقول له الله:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [٤:الشرح]

والطالب يقول: أريد وزيرًا يساعدني يكون معي ويعاونني في شئون النبوة وشئون الرسالة، أما المطلوب فيقول له: أنا وزيرك وأنا أساعدك وأنا ظهيرك وأنا معينك:

﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

المؤمنون أرقى أم الملائكة؟!!:

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [٤:التحريم]

فذكر الملائكة بعد صالح المؤمنين لأنهم الأرقى في الرتبة عند الله ﷻ !

وهذا كلام الله!

والترتيب يدل على التقديم، لأن هذا تكريم من حضرة الكريم ﷻ. وهذا الرسول ﷺ قال لنا ﷻ في شأنه:

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾، وقبل الحرص: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾

أي يحزن لو أن أحدكم أصابه همٌّ أو غمٌّ أو نكد، وفى معنى الحديث الشريف:

{ ما من ألم ولا نصب ولا همٍّ ولا شيء يصاب به العبد المؤمن إلا وأجد ألم ذلك عندي }، وأيضاً: { حتى لو اشتكى رأسه فإني أجد ألم ذلك عندي في رأسي }.[٣٢]

فعندما يجد المشقة والعنت في أي أمر من أمور الدنيا – والمشقة والعنت لا تكون إلا في أمور الدنيا يا إخواني – أما طريق الله والسير إلى الله فليس فيه عنت ولا مشقة:

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [٤٥:البقرة]

لأن هؤلاء يسهل لهم الله أمرهم!

ولذتهم عندما يتنعمون بنعيم المناجاة أكثر من لذة أحدنا في كلامه مع من يحبها من نساء دنياه ...

فالذي يحب امرأة ... ويتمنى أن يسمع صوتها ويرى أن هذا نعيم كبير:

نقول له هذا لا يساوي بعض ذرة ... !!!!!

من نعيم أهل المناجاة وأهل المصافاة مع حضرة الله أو مع رسول الله ﷺ ...

بل إن أحدهم يعبِّر عن ذلك فيقول:

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي أشهى عليَّ من الدنيا وما فيها

تفقُّد الرسول ﷺ لأحبابه

٣٢ يؤيد ذلك الحديث الشريف: { منزلة المؤمن من المؤمنين بمنزلة الرأس من الجسد متى اشتكى الجسد اشتكى الرأس ومتى اشتكى الرأس اشتكى سائر الجسد } ابن السني في الطب عن قيس بن سعد.

نظرة واحدة من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لمن يعرفها ولمن يدركها ولمن يحس بها ويشعر بها أشهى من الدنيا وما فيها!

أما الخائنون فيقومون وهم معذورون لأنهم لم يذوقوا مثل هذه الأحوال، لكن عليهم ألا يتمادوا في العزل واللوم حتى لا يصابوا بما يصيب به الله ﷻ المعترضين على أهل ودِّه وحبِّه ﷻ حتى كان صلوات الله وسلامه عليه ولا يزال يتفقد أحوال إخوانه في اختلاف الجهات ومع بعد المسافات ويشعر بما يكون عندهم ويصف لأحبابه ولمن حوله أحوالهم.

فهؤلاء أصحابه يحاربون الروم في بلاد الشام، وبينه وبينهم ما يزيد على ٧٠٠ كيلو متراً، وهو جالس على منبره يصف أحوالهم – كمعلق تليفزيوني يصف على الهواء مباشرة – فيقول لمن حوله: أمسك الراية جعفر، قطعت يده اليمنى، فأمسكها بيده اليسرى، قطعت يده اليسرى، فأمسكها بعضديه، جاءته حربة في صدره فرأيته يطير في الجنة بجناحيه، أمسك الراية عبد الله بن رواحة، وقبل ذلك زيد بن حارثة، وهم الثلاثة الَّذين عيَّنهم .. ثم قال: أمسك الراية خالد بن الوليد سيف من سيوف الله ﷻ[٣٣]، وأسماه ﷺ كما روى:

---

٣٣ روى الواقدى فى عمدة القارىء: {عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، قال: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول اللهﷺ على المنبر، وكشف له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معركتهم }، وفيه أيضا عن الزهرى:{ ولما دناالعدو انحاز المسلمون، إلى قرية يقال لها: مؤتة، فتلاقوا عندها فاقتتلوا، فقتل زيد بن حارثة، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى قتل. قال ابن هشام: إن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذها بشماله فقطعت، فاحتضنها بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ..، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، ﷺ، قال الواقدي: لما أخذ خالد الراية قال رسول الله، ﷺ: الآن حمي الوطيس، فهزم الله العدو وظهر المسلمون، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة}. وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ ﷺ: {أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: {أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ }. وفى رواية النسائى الكبرى عن أبى قتادة الأنصارى: { إن رسول الله صعد المنبر، وأمر أن ينادَى: الصلاة جامعة، فقال رسول الله: ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فأصيب زيد شهيداً استغفروا له، فاستغفر له الناس، ثم أخذ الراية جعفر بن طالب فشدَّ على القوم حتى قُتل شهيداً، أشهدُ له بالشهادة فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبتَ قدمَيْه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو امَّر نفسه، ثم رفع رسول الله أصبعيه ثم قال: اللّهم إنه سيف من سيوفك فانتصر به }.

{ سيف الله المسلول }[٣٤].

يصف الحالة على ما كان عليها .... كأنه كان معهم ... ويراهم صلوات الله وسلامه عليه ...

وكذلك النجاشي كم مرة حضر فيها لرسول الله؟!!

ولا مرة!!. كم مرة شاهد فيها وجه رسول الله ﷺ ظاهرًا؟!! ولا مرة!!

لكن كان صحابياً!!

وله قدر عظيم في معية سيدنا ومولانا رسول الله!!. ولذلك في يوم نودى الصلاة جامعة، فلما اجتمعوا أخبرهم ﷺ أنه مات اليوم أخوهم النجاشي، وأنه وضع على سريره الآن بعدما غسلوه وكفنوه، ودعاهم ليصلوا عليه صلاة الجنازة.[٣٥] والنجاشي لم يحضر بجسمه، ولا أحد رآه برسمه:

لكن هذا يعرفنا أن عيناه الشريفتان لا تغيب عن أصحابه طرفة عين وإن كانوا في أقصى البلاد، وإن كانوا في أبعد مسافات أو في مختلف الجهات المتفرقات، إلا أنه ﷺ يراهم بنور الله الذي أعطاه له الله ﷻ، فهو كما قال القائل:

فروحي لم تغب والروح نور تواجه من أحب بنور نوري

فروحه ﷺ حاضرة لا تغيب إلا عن الذي لم يقدر أن يلتقط أمواج سيد الأولين والآخرين لتعطل جهاز استقباله رغم أن إرسال رسول الله موجود في الفضاء الأثيري لا

---

٣٤ معرفة الصحابة لأبى نعيم، وروح البيان وتفسير حقى ونور الأذهان لإسماعيل البروسوى.

٣٥ روى البخاري عن جابر قال النبي ﷺ حين مات النجاشي:{ مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة }، وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبي سعيد الخدري أنه لما حدثت :{ وفاة النجاشي قال ﷺ:اخْرجُوا فصلُّوا على أَخٍ لكم لم تَرَوْهُ قطُّ، فخرجنا، وتقدم النبي ﷺ وصفَّنا خلفه، فصلّى وصلينا}، وفى روح البيان: أصمحة النجاشي فإنه لما مات نعاه جبريل لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه فقال ﷺ لأصحابه: اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، فقالوا: من هو؟ قال: النجاشي، فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة (وروى من المدينة إلى أرض الحبشة) فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له .

ينتهي، وليس له وقت محدود ولا زمن معدود، لأنه سيِّد الوجود صلوات الله وسلامه عليه، فالذي له جهاز استقبال عطلان هو الذي لا يستطيع أن يستقبل أنوار النبي العدنان ﷺ.

صدأ القلوب وعلاجه

والذي جهاز استقباله عطلان!. ما الداء الذي سبب له ذلك؟ جاء له صدأ القلوب الذي يأتي من الغفلة عن علام الغيوب ﷻ.

فطالما القلب عامر بذكر الله، فهذا القلب منوَّر بنور الله، ومواجه بحبيب الله ومصطفاه ﷺ. ما الذي يجعله يصدأ؟!! الغفلة عن الله، والغفلة عن ذكر الله، والغفلة عن حبيب الله ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[٢٠١:الأعراف]

فالغفلة هي التي تجعله يصدأ، وعلاجها دوام ذكر الله ﷻ، أما الذي يقطع عنك الأنوار بالكلية فماذا؟. إذا اشتغلت بالدنيا وتركت العناية برسالة الحبيب، لأن كل مسلم مطالب بأن يكون له دور مع رسول الله، يختار الدور الذي يناسبه؛ لأنه لابد له أن يكون له دور في مسرحية:

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩:الفتح]

من الذي يؤدي دورًا في المسرحية في هذا العصر؟ نحن، منا من تشبه بأبي بكر، ومنا من تشبه بعمر، ومنا من تشبه بعثمان، ومنا من تشبه بأبي ذر، وكل واحد له دوره. فلابد لكل مؤمن أن يكون له دور، ولو حتى معاون أو مساعد. لكن الذي يجلس مع المتفرجين فقط فكيف يكون له راتب نوراني وإيماني من سيد الأولين والآخرين ﷺ؟ ..

والذي يجلس في كراسي المتفرجين ماذا يدفع؟

يدفع نفسه وماله لله حتى يكرمه الله ويدخله في روض حبيبه ﷺ ومن معه!

والذي مع رسول الله أصبح جندياً من جنود الله، فلابد أن يتولاه، ولابد أن يكفله، ولابد أن يعينه، ولابد أن يمدَّه بالأنوار الظاهرة والباطنة، والحاجات الظاهرة والباطنة، لماذا؟

لأنه مكلف من قبل رسول الله ﷺ.

وهذا الذي جعل الصالحين كل واحد منهم يكلف نفسه بمهمة في دين الله:

لماذا؟

يكفيه شرفًا وفخرًا أنه يكون في معية رسول الله ﷺ!

ويكفيه عزًّا وفخرًا أنه يكون جندياً من جنود الله ورسوله في هذا الكون، عاملاً بأوامر الله، قائماً بسنة حبيب الله ومصطفاه ....!!

فرسول الله ﷺ يحزن من المشقة التي نتعرض لها، إن كانت في ألم جسماني، أو ألم نفساني، أو إن كان شيئاً في بيوتنا أو في أولادنا أو في بناتنا أو في حياتنا. يحزن رسول الله ﷺ لكن لماذا لم يرفع هذا الأمر إلى الله – ودعاؤه مستجاب – حتى يرفع الله عنا ما نزل بنا؟!!؛

لأنه يرى بنور الله أن ما يحدث لنا خير لنا:

فقد يكون تطهيراً لذنوبنا، وقد يكون تطهيراً لعيوبنا، وقد يكون تكفيراً لسيئاتنا، وقد يكون رفعة لدرجاتنا عند الله ﷻ، فيكون على كل الأحوال خيرًا لنا، ولذلك يقول ﷺ:

{ عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ لَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذلِكَ لأحَدٍ إِلاَّ

لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ }[٣٦].

فهو في تلك الحالتين على خير من الله ﷻ، لكني لا أرى ما اختاره الله ﷻ لي على التحقيق، ولو رأيت فقد ورد فى الأثر للألوسى البغدادى فى تفسيره المعروف:

{ لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع }

فأنا لا أرى الخير المناسب لي؛ ولكن رسول الله ﷺ يرى لنا الخير والخير الذي يراه لنا حتى لا نتوه هو الذي يحرص علينا فيه، وهو الخير الباقي الذي نأخذه ونحن خارجين من هذه الحياة، والخير الذي سيدخره لنا الله والذي سنلقاه يوم لقاء الله ﷻ.

وإن أكثر الناس نظرهم قاصر!! فهم يريدون العاجلة، لكن رسول الله ﷺ لأنه يحبنا ويحرص علينا فهو يريد لنا الآجلة، يريد أن نخرج من الدنيا وقد أكرمنا الله ﷻ بخير زاد يقبل به العباد على الله ﷻ، وهو زاد التقوى، ولذلك فكل الذي يحرص عليه رسول الله بالنسبة إلينا .... وبالنسبة لنا .... هو أمور الآخرة:

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾

حريص عليكم من الدنيا وأهوائها وشهواتها وحظوظها:

ولذلك كان يعطي الدنيا للمنافقين ولا يعطيها لخاصة المؤمنين؛!!

فعندما تجيئ له الأرباح والغنائم في غزوة حنين لا عدَّ لها ولا حد – ستون ألف رأس من الغنم وأربعون ألف من الجمال، وعشرة آلاف رأس من البقر، غير الذهب والفضة! وزَّعها كلها على المؤمنين الجدد والمنافقين الَّذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم!

وترك المهاجرين والأنصار ولم يوزع عليهم قليل أو كثير.

---

٣٦ رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن صهيب الرومي ﷺ

حتى جاء له واحد من أغنى الأغنياء في مكة صفوان بن أمية بن خلف وليس محتاجاً، فأعطاه غنماً بين جبلين – يعني: تسد الطريق والوادي بين الجبلين – حتى أنه أدرك أن هذا ليس من فعل البشر ... فقال:

(والله ما جادت بهذا نفس مَلِك، إن هي إلا النبوة) ..

يعني المَلِكُ عندما يعطي؛ يعطي بحرص، لكن الذي يعطي مثل هذا الجم الغفير من العطاء لا يكون إلا نبيّ من الأنبياء، أو رسول من رسل الله!!

قال: فما زال يعطيه وقد كان أبغض الخلق إليه، حتى صار أحب الخلق إليه، لأنه يعلم – ﷺ – أن علاجه في هذا الأمر، وعلاجه في هذا الشأن.

وسوس بعض المنافقين للأنصار والمهاجرين وذهبوا إليهم وقالوا لهم: أنتم الَّذين حاربتم وهم الَّذين هربوا من أول المعركة وأعطاهم ولم يعطكم، فذهبوا إليه ﷺ فقال:

{ أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ- لعاعة: يعني شيء لا يلقى له بال- مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْت بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إلَى إسْلامِكُمْ؟

أَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إلَى رِحَالِكُمْ؟}[٣٧].

أي هم ملئت جيوبهم، وأنتم ملئت قلوبكم !!! وعطاء القلوب خير من عطاء الجيوب، فالذي يملأ الجيوب ماذا يأخذ منها عند الموت؟!!،

لكن الذي يُودع في القلب ....

---

٣٧ سيرة ابْنُ هِشَامٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ ﷺ وتتمة الحديث { فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْت امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ. اللّهُمّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ. وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمًا وَحَظّا . ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرّقُوا }.

هو الذي يظهر ويتضح يوم لقاء حضرة علام الغيوب ﷻ.

فبيَّن لهم هذه الحقيقة وبيَّنها لنا جميعاً.

كان يولي على الولايات الجماعة الَّذين لم يثبت إيمانهم ليثبّتهم:

منهم من يريد أن يكون أميراً، ومنهم من يريد أن يكون وزيراً! .. ومنهم ...

وأئمة المتقين يعتذر لهم بعذر لطيف ..

مثل أبي ذر يقول له: اجعلني والياً، فيقول ﷺ:

{ يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ. وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ. }[٣٨].

أي أن الولاية تحتاج إلى رجل قوي وأنت رجل رقيق القلب.

وكذلك عمه العباس يطلب الولاية فيقول له :

{ يَا عَبَّاسُ، يا عَمَّ رسولِ الله نَفْسٌ تُنْجِيْهَا، خيرٌ من إِمَارَةٍ لا تُحْصِيْهَا }[٣٩]

يعني يعتذر إليه بعذر لطيف، وورد عنه ﷺ:

{ لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها }[٤٠].

وكذلك قال ﷺ فى حديث الشريف:

---

٣٨ روى مسلم عن عَنْ أَبِي ذَرَ ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي. ثُمَّ قَالَ: { يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ.وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ. وَإِنَّهَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ. إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا }

٣٩ سنن الكبرى للبيهقي عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ

٤٠ متفق عليه من حديث عبد الرحمن بن أبى سمرة،

{ إنا والله لا نولِّي هذا العمل أحداً سأله، أو أحداً حرص عليه }[٤١]

وقد فقه هذا الأمر أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه فرفض أن يولي أصحابه والَّذين شهدوا غزوة بدر ...

وكان الواحد منهم يسمى: (بدريَّاً)، فلما خاطبوه وكلموه قال:

{ كرهت أن يتعجلوا شيئاً مما لهم عند الله ﷻ من الولايات والأموال والدنيا، وأردت أن يخرجوا من الدنيا موفور نصيبهم عن الله ﷻ }

إذن الذي يحبه رسول الله كان يحميه من زخارف الدنيا وحقارة الدنيا وأهواء الدنيا وشهوات الدنيا ليشغله بالله ﷻ..

والذي يرى أنه يثير الفتن على المؤمنين ويصطنع المشاكل للمؤمنين ويفعل خلافات وقلق بين المؤمنين كان يشغله بالدنيا لكي يبعده عن طابور وساحة المؤمنين، لأنه يعرف أن هذا يبعده!!

لكن خاصة أصحابه وكُمَّل أصحابه ﷺ كان حريصاً عليهم ....

وحريصاً على أن يخرجوا من الدنيا بلا ذنوب ولا عيوب.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٤١ رواه البخاري ومسلم في الحديث المتفق عليه عن أبي موسى الأشعري

الفصل الرابع

الاحتفال بميـــــلاد رسول الله ﷺ لدى الصالحين

التخلق بأخلاق الرسول ﷺ

استحضار أوصاف الحبيب

رسالة مكارم الأخلاق

أصناف الورثة لحضرته

نشر الفضائل المحمدية

كيف ننشر الإسلام

سَبَبُ حُبِّنَا لشيخنا الشيخ
محمد على سلامة

الفصل الرابع

الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ لدى الصالحين[٤٢]

الحمد لله الذي جمعنا على حبِّ حبيبه ومصطفاه ...

وملأ قلوبنا بالتعظيم والحب والرغبة الأكيدة في الوصول إلى أنوار حضرته، والطمع في أن نكون يوم القيامة جميعًا تحت لوائه ...

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد واشرح صدورنا جميعًا للعمل بسنته، ونوِّر أرواحنا بتاج محبته، وانظمنا جميعًا في عقد معيته، واجعلنا جميعًا من الجنود العاملين بنصرة شريعته، ووفقنا لأن نسير على نهجه وسنته، حتى نفرح به في يقظتنا ومنامنا وحلنا وترحالنا ودنيانا وآخرتنا، نحن وإخواننا والمسلمين أجمعين.

أما بعد .... فيا إخواني ويا أحبابي: بارك الله فيكم جميعاً ....

لِمَ نحتفي بميلاد رسول الله ﷺ؟

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه لخص الإجابة على هذا السؤال في بيتين:

مولد المصطفى حياة قلوب شوقها قد نما بداعي الغرام
مولد المصطفى لروحي بشرىّ شاهدته فيه بغير لثام

---

٤٢ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٤ من ربيع الأول ١٤١٦ه الموافق ١٩٩٥/٨/١٠م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة - بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف.

مولد المصطفى يعيش فيه الصالحون في كل وقت وحين لأنهم يستحضرون دائما أوصافه النورانية، وصفاته القرآنية، وأحواله الروحانية صلوات الله وسلامه عليه عندما يحتفلون بمولده صلوات الله وسلامه عليه ..

فالسرُّ في ذلك:

أنهم يستحضرون هذه الأوصاف – مع التعلق بآداب هذه الخصال – ليقوى حبُّهم للتعلق بها، فيكرمهم الله ﷻ فيخلع عليهم شيئاً منها فيقومون بها ..

لأن التخلق بأخلاق رسول الله ﷺ ليس بالجهاد بقدر ما هو خلع وهبات، يتفضل بها الله ﷻ على مَنْ ملأ الله قلبه بِحُبِّ سيِّد السادات ﷺ.

التخلق بأخلاق الرسول ﷺ

فالذي يريد أن يتخلق بخلق الصدق – مثلاً – من صفاته الكريمة صلوات الله وسلامه عليه، ماذا يفعل؟ وما الباب الذي يجاهد فيه ؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [١١٩:التوبة]

يجالس الصادقين، ويكثر من مجالسة الصادقين، ليكرمه الله ﷻ ويجعله صادقًا مثل هؤلاء الصادقين ...

ولذلك كنا نجد الصالحين لهم اهتمام عظيم بهذه الأيام المباركة أيام مولد رسول الله ﷺ، فيحرصوا على إحيائها كل ليلة، وليس ليلة واحدة في العام، خاصة ليالي شهر ربيع بالذات من أول الشهر، لماذا؟

ليتذكروا أوصاف رسول الله، وأخلاق رسول الله، وأقوال رسول الله، فيكرمهم الله ﷻ بنفحة من هذه الأخلاق المحمدية.

وهناك رجل من الصالحين وصل إلى الله ﷻ بشدة تعلُّقه بميلاد رسول الله ﷺ، حتى أنه طوال العام أي مجلس يحضره – في قرية أو مدينة – كان يأمر بقراءة مولد رسول الله ﷺ. لماذا؟ .. لأن قلبه تعلَّق بهذا المقام العظيم، هذا الرجل هو الشيخ عبد الفتاح القاضي ومقرُّه شبلنجة مركز بنها – ﷺ وأرضاه، وهذا في عصرنا وزماننا الذي نحن فيه: .. كان مجلسه دائماً في أي مكان يحييه بقراءة مولد رسول الله ﷺ. لماذا؟ لأن أقوى باب يعيننا على طاعة الله في هذا الزمان هو استحضارنا الأوصاف المحمدية، والأخلاق الأحمدية، التي كان عليها رسول الله ﷺ.

فالدنيا من بدئها إلى ختامها صراع بين الحق والباطل:

وأهل الحقِّ ما الحقُّ الذي معهم؟ القيم الإلهية، والأخلاق الربانية، التي توجد في كتاب الله، والتي أمر بها الله ﷻ في قرآنه الكريم، وهذه هي بضاعتهم. وأهل الباطل معهم الأموال، ومعهم المناصب، ومعهم الشهوات، ومعهم الحظوظ والأهواء والأشياء التي تميل إليها النفس.

هِيَ النَّفْسُ لِلدَّانِي تَحِنُّ وَتَرْغَبُ وَلِلعَاجِلِ الفَانِي تَمِيلُ وَتَطْلُبُ

فدائماً تميل النفس لهذه الأشياء؛ تميل للشهوات والأهواء، والحظوظ والراحات والملذات. فكان الصالحون يحيون الإثنا عشرة ليلة كلها، والإمام أبو العزائم قال لنا:

(يتعين – أي: يجب – على آل العزائم أن يحيوا الإثنا عشرة ليلة الأُول من شهر ربيع الأول كلها).

والذي يريد أن يكرمه الله بالفتح يا إخواني لا يفتح لنفسه باب الاعتذار:

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [٣٦:المرسلات]

ويعمل حسابه ويستعد قبل هذه الليلة بليالي، ويجهز نفسه ويجهز قلبه ويجهز روحه – قبل تجهيز ملابسه – لأنه ذاهب للحبيب ﷺ، والحبيب صلوات الله وسلامه عليه كما قيل: ما ذُكِرَ في مجلسٍ إلا وحضر، وما حضر إلا ولأهل هذا المجلس نظر، ولا

نظر لأحد من البشر إلا وكساه مما جمله الله ﷻ من الأحوال الإلهية، والصفات الربانية صلوات الله وسلامه عليه، لأنه كما قال الله في شأنه:

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [٢٤:التكوير]

ليس بخيلاً، ولكنه كريم ﷺ، وكرمه لا يقدر أحَدٌ أبداً أن يصفه!! وقد أشار إلى هذا النعت بعض الصالحين فقال:

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهُ

ولا تظنوا أن عطاء رسول الله للناس الروحانيين فقط، بل عطاؤه أكثر للظالمين لأنفسهم، فقد قال الله ﷻ لهم:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [٦٤:النساء]

فعطاؤه أكبر للظالمين لأنفسهم، حتى أن شفاعته يوم القيامة قال فيها:

{ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي }[٤٣]

لأنه كلَّه رحمة وحنان، وشفقة وعطف، صلوات الله وسلامه عليه.

استحضار أوصاف الحبيب

فالمؤمن في هذه الأيام على الأقل يخلي البال ولا يجعل على البال إلا حبيب الواحد المتعال ﷺ، يكفيه ما يشغله من مشاغل طوال السنة فيشغل البال في هذه الأيام على الأقل به ﷺ، حتى يتعلق به فينام مشغولاً به ويقوم مشغولا به ويجلس يطالع في

٤٣ أحمد والترمذي وأبو داود وابن حبان والبيهقي عن أنس ﷺ

سيرته، ويقرأ في أخلاقه، ولسانه لا يمل من الصلاة عليه، وقلبه دائماً يستحضر أوصافه، فهو مشغول دائماً في هذه الليالي والأيام برسول الله ﷺ.

هذه – يا إخواني – أحوال الصالحين والمتقين ... في أيام ميلاد سيد الأولين والآخرين ﷺ، ولا شك في أننا في هذا الزمان نحتاج إلى رسول الله ﷺ أكثر:

لأن الفتن ظهرت في كل زمان وفي كل مكان من أرض الله ﷻ وكثرت، وكانت أولاً في بلاد الكفر فقط ولكنها الآن دخلت بلاد الإسلام، وكانت أولاً في بعض الأماكن من بلاد الإسلام والآن لم تترك بيتاً من بيوت المسلمين إلا وفيها المظهر الذي يظهر الفتن التي تتجدد في كل نفس من أنفاس هذا العصر.

من الذي يُعِينُنَا على الخلاص من هذه الفتن؟

لا يوجد غير أحوال وأخلاق رسول الله ﷺ، فطالما نحن بعيدون عن أحواله الشريفة، ولا نستحضر ذاته البهيَّة على بالنا فليس أمامنا شيء يُعِينُنَا على التمسك بالقيم والمبادئ في وسط زحام هذه المادة التي طَغَتْ على كل شيء. لكن المؤمن دائماً أمامه صورة رسول الله ﷺ، ويقول له دائماً:

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٤٨:الطور]

أنت أمام عيني دائماً ...!!!

فكلما يُعرض عليه مشهدٌ من مشاغل الدنيا – يجرُّه لأحوال الدنيا وأحوال أهلها المخزية – ينظر حال رسول الله عندما كانت تعرض عليه هذه الأمور؟؟

ماذا كان يفعل؟

فيتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ، فيما أمره به ربُّه في قوله:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [١٣١:طه]

رسالة مكارم الأخلاق

باختصار يا إخواني حتى لا أطيل عليكم .. سيرة رسول الله ﷺ طويلة ومتشعبة وعريضة الجوانب، وهناك من يتكلم عن سيرته النورانية، وهناك من يتكلم عن سيرته في الجهاد، ومن يتكلم عن سيرته في العبادات، ومن يتكلم عن حياته المنزلية، ومن يتكلم عن معاملته لجيرانه وأحبابه وخلانه وأعداءِه. أمور لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، لكن مهمتنا نحن في هذا الزمان أن نتمسك بالقيم وبالأخلاق التي جاء بها النَّبِيُّ العدنان، وهذا أصعب الجهاد في زماننا هذا!!

يسهل عليك أن تقلده في العبادات، لأن هذا بينك وبين ربِّك!!

لكن إعجازه ﷺ في زمانه لم يكن في مجال العبادات:

حيث كان أمر العبادة حواليهم منتشراً في الأديرة والصوامع المليئة بالرهبان الَّذين تركوا الدنيا مقبلين على الآخرة وعبادة الله ﷻ، لكن رسول الله ﷺ وصل بعدما ذُبحت القيم، وانتهت الفضائل، إلا بقية قليلة كانت في الأمة العربية التي ظهر فيها، لأن الله ﷻ كان يجهِّزُهم لحمل تلك الرسالة وأداء تلك الأفعال.

فالمَدَنِيَّةُ التي كانت حوله: الفرس والروم، ولم يكن عندهم فضائل ولا قيم ولا أخلاق، مع أنهم يمتلكون الحضارة والمدنية، والفنون والأموال، والصناعات والمباني وغيرها من أصناف المادة، كالزمن الذي نحن فيه، فقال صلوات الله وسلامه عليه:

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٤٤]

وفي رواية: **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)**[٤٥]

---

٤٤ البيهقي في سننه والدارمي عن أبي هريرة ﷺ

. ليحضر لنا الأخلاق الصالحة التي نحتاج لأن نعيدها من جديد في هذا الزمن الذي نحن فيه. وهذه الأخلاق لا ننقلها من أمريكا أو روسيا لأن هؤلاء القوم قد ذُبحت الأخلاق والفضيلة عندهم.

وإنما نأخذها من القوم الَّذين ينظرون لرسول الله ويطبعوا على أنفسهم هذه الأخلاق الكريمة التي جاء بها من عند الله ﷻ، فإن الله ﷻ كما زرد بالأثر:

{ يحب من خلقه من كان على خلقه }.

فأخلاق الله لما لم يكن أحد فينا يستطيع أن يتخلق بها على قدر الله، أظهرها الله على يد حبيبه ومصطفاه في صورته البشرية، ولذلك كما قال الرجل الصالح عن رسول الله ﷺ – الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ قال: كنت نائماً فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، وسمعت قائلاً يقول: إنه بشر، وآخر يرد عليه ويقول: إنه بشر ليس كالبشر، بل ياقوت بين الحجر – فالياقوت نوع من الحجر، والذهب كذلك حجر، لكن ليسا كسائر الأحجار – قال: فانتبهت من نومي ولساني يقول: ((محمدٌ بشر ليس كسائر البشر، كالياقوت بين الحجر)).

فرسول الله ﷺ أقامه الله ﷻ في حالة البشرية ليظهر على يديه ما يناسبنا من الأخلاق الإلهية، فإذا أردت أن أتخلَّق باسم الله (العفو)، فلن استطيع أن أصل فيه إلى مقدار عفو الله، إذاً بِمَنْ أَتَشَبَّه؟!! بسيدنا رسول الله ﷺ. كيف كان يعفو؟ فإنه كان صورة من العفو التي كانت في سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك ما يلفت نظرنا إليه الصالحون ﷺ وأرضاهم حيث عبَّر عن ذلك بعضهم في قوله: (والله ما أكل ﷺ إلا لنا، ولا شرب إلا لنا، ولا تزوَّج إلا لنا، ولا نام إلا من أجلنا، لكي يعلِّمنا كيف نأكل؟، وكيف نشرب؟، وكيف نتزوج؟، وكيف ننام؟، حتى نسير على نهجه وهداه ﷺ).

---

٤٥ ابن أبي شيبة في مصنفه وأحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ

أصناف الورثة لحضرته

فهناك من ينشر لسِيرَتِه وهم العلماء، وهناك الناشرون لسُنَّته وهم علماء الحديث، وهناك الناشرون لهَيئَتِهِ وهم إخواننا الَّذين تشبهوا بظاهره صلوات الله وسلامه عليه، وهناك الناشرون لجهاده، وهم الَّذين يحثون الناس على الجهاد في سبيل الله ﷻ، وهناك الناشرون لِقِيَمِه وأخلاقه وفضائله وهم الصادقون في كل زمان ومكان، وهم الَّذين ينشرون الأخلاق والفضائل والقيم والمثل والمبادئ التي كان عليها صلوات الله وسلامه عليه، وكيف ينشرونها؟ باللسان؟ لا، بالفعال وبالخصال، وبالأحوال في تعاملهم مع الآخرين، ولو درسنا ديوان الصالحين من عصر رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا، لوجدناهم على هذا الهدى والسمت قائمين.

وقد سمعت من رجل من الصالحين في زماننا هذا – وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب – أنه ذهب لزيارة بعض إخوانه في بلدة ومعه جمعٌ من الإخوان، وكان في هذه البلدة العلماء، وفيها الأولياء، وفيها العبَّاد، وفيها من يظهرون المحبة، وفيها من يصيح في حلقات الذكر ويظهر توده وعشقه، فلما جلسوا وكل منهم يقول بلسانه، وإذا بامرأة – لم تفعل كفعلهم، ولم تصنع كصنيعهم – ذهبت إلى بيتها وجهَّزت طعاماً لهؤلاء وأتت به إليهم، فقال الرجل: لقد سبقت هذه كل هؤلاء الرجال!! لماذا؟ لأنها تشبهت برسول الله ﷺ وأصحابه، الَّذين قال الله في شأنهم:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

والقرار ماذا يا ربِّ؟

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٩:الحشر]

نشر الفضائل المحمدية

فعندما يأتي عالم ويتحدث ويملأ المنابر والمحافل بياناً، ويتحدث عن الفضائل الإسلامية والأخلاق المحمدية؛ ولا يعرف أحد كيفية الدخول إلى بيته، وإذا دخل أحد إلى بيته يجد الشُّحَّ يطلُّ من كل جنباته، فبِمَ يتأسى الناس به؟ بفعله أم بقوله؟ أجيبوا يا إخواني، بفعله أو بقوله؟

بفعله. وهذه هي الأحوال المحمدية التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ وأرضاهم.

فنحن محتاجين على أن ننشر هذه الفضائل بالفعال وليس بالكلام، وبالخصال والتخلق بما كان عليه ﷺ وأصحابه الكرام، فقد كان الرجل منهم يفتح المدن بفعلة واحدة عملها لله ﷻ، أو بخُلُقٍ واحدٍ قد تخلَّق به على هدي سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وإليكم بياناً واحداً:

دخل جيش المسلمين مدينة سمرقند ولم يرسلوا إلى أهلها في البداية الإنذار المعتاد أن يرسله جيش الإسلام، فقد كانوا دائماً ينذرون من يحاربونهم، بالإسلام أو الصلح أو الجزية، فدخلوا المدينة واستولوا عليها بدون إنذار!!!

وأهل المدينة كان قد سبق إليهم ونما إلى علمهم أحوال جيش المسلمين، فلما وجدوا أن البلدة قد فتحت على غير الهيئة المتعارف عليها عند المسلمين رفعوا الأمر إلى القاضي – قاضي المسلمين – فتناول القاضي حيثيات القضية، ولما تأكد أن جيش المسلمين دخل على غير الهيئة الإسلامية، أصدر قرار المحكمة بأن يغادر جيش الإسلام هذه المدينة ويتركها لأهلها.

فخرج الجيش وترك المدينة، فما كان لأهل سمرقند ومن جاورهم إلا أن دخلوا جميعاً في دين الله أفواجاً، رغبة من عند أنفسهم، بغير ضرب ولا شدة ولا إكراه ولا حرب، وإنما دخلوه رغبة في هذا الدين الذي نصر المستضعفين على الغزاة الفاتحين.

كيف ننشر الإسلام؟

هذا هو نظام الإسلام يا إخواني، نظام الإسلام الذي انتشر به الإسلام، الذي يأمرنا به وعليه المصطفى ﷺ أن ننشر هذه الفضائل بأنفسنا، وأن نبدأ فيها بأنفسنا، وأن نُعَلِّمَ إخواننا هذه الأخلاق الإلهية، بأن نبدأ بها أولاً في أنفسنا ولذلك لا ينفع بيننا المداهنة ولا الرياء ولا المخادعة، بل لابد أن تكون فعالاً صادقة تعبر عن هذه النيَّات وعن هذه الأحوال، لأننا نريد أن يكون لنا نصيب في قول الله ﷻ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [٢٩:الفتح]

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ في كل زمان ومكان، فكل واحد منا يا إخواني مطالب بأن يكون عارضاً للأزياء المحمدية؛ وما الأزياء المحمدية؟ الزهد المحمدي، والكرم الأحمدي، والتواضع النبوي، والافتقار إلى الله، والحب الصادق للصادقين من عباد الله، والمواساة في الله، والمؤاخاة في الله، والبذل في الله، والتوادد في الله، والتزاور في الله، والتجالس في الله، وكل ذلك عن صدق ويقين ابتغاء وجه الله ﷻ.

ولو عرضنا هذه البضاعة بصدق لالتف الوجود كلُّه علواً وسفلاً حولنا؛ لأنه لا مخرج في هذا الزمان للناس من أزماتهم إلا بهذه الأخلاق الإلهية، وبهذه المبادئ الربانية، وبهذه التعاليم الروحانية التي جاء بها المصطفى ﷺ لكن الناس – وإياك أن تظن أن الناس فيهم غباء – لأنه لا يخفى عليهم حال إنسان، واسمع معي قول القائل:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

وهذه هي المشكلة كلها ....: أن الرجل منا ربما لا يدري العيب الذي فيه، مع أنك تجد أن صبيان المسلمين يعلمون ذلك الخُلُق فيه، لكنهم يدارونه!!، وإن كانوا يشعرون ويعرفون جميعاً ما به، فالإنسان المؤمن صادق مع نفسه، وأمامه صورة حبيب الله، وخلفها وبينها صورة أصفياء الله وأحباب الله، من صحابة رسول الله والصادقين في كل زمان ومكان.

سَبَبُ حُبِّنَا لشيخنا الشيخ محمد على سلامة

ونحن جميعاً لِمَ أحببنا هذا الرجل وعاهدناه، وعشقناه ومشينا حوله، الشيخ مُحَمَّد على سلامة ﷺ وأرضاه؟. أمن أجل العلم فقط؟ كلا، بل من أجل الأوصاف المحمدية والأخلاق الإلهية التي رأيناها فيه، ومشينا حوله لأننا أحببنا هذه الأخلاق.

فنريد جميعاً أن نشتغل في هذه البضاعة، ونعمل في هذه المعارض المحمدية، وكل رجل يريد أن يفتح توكيلاً في المكان الذي هو فيه ليعرض هذه البضاعة لابد أن يكون صورة صادقة مجملة بأوصاف:

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [٢٩:الفتح]

والذي يريد أن يشتغل في هذه البضاعة ما مشكلته؟!! لابد أن ينال شيئاً من التعب، كأن يسهر في طاعة الله ولا يعطي نفسه حقها في النوم، ويقدم شيئاً من ماله لربّه، وأن يكون بيته صورة من بيوت الأنصار مكتوب عليه بالأنوار:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾

وأن يكون – في سيره مع إخوانه، ونومه مع إخوانه، أو سفره مع إخوانه– أمام عينيه: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [٩:الحشر] ..فيؤثر إخوانه بالمكان الطيب في النوم ...، وباللقمة الهنيئة في الأكل ...، وهو يفعل ذلك كلَّه ليس تكلُّفاً – لأن لو فعله تكلفاً كان رياءً أو مداهنة، وليس له أجر عند الله ﷻ – وإنما يفعله عن صدق وعن إخلاص .. ﴿ لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [٥:البينة]

هذه يا إخواني أوصاف الَّذين يريدون أن يكونوا عارضين للأزياء المحمدية، ونحن في هذا الزمان في أمسِّ الحاجة لتلكم الأخلاق وهذه الأوصاف، لأن الناس كلَّها ملَّتْ

من النفاق، وكرهت أحوال المجتمع، حتى سمعت من أكثر من رجل من الصادقين: أنهم في هذا الزمان يستغيثون بما قال به سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ يأتي على الناس زمان يَمُرُّ الرجل على قبر أخيه فيتمنى أن لو كان مكانه)[٤٦].

لماذا؟ لأنه يرى الَّذين يحيطون به وقد اتصفوا بالنفاق والرياء والدهاء والخيلاء في كل مكان، والناس على هذا ومع هذا يحنون إلى الصدق – ولو لم يكن حالهم، ويتمنون أن يكونوا من أهل الأمانة – ولو لم تكن بينهم، ويتمنون الإخلاص ويحبون مجالسة المخلصين – ولو كانوا ليسوا منهم، لأن هذه فطرة الله الذي فطر الله ﷻ الناس عليها.

وأعظم بلاء في هذا الزمان أن القوالين فيه كثير، والمتحدثين فيه كثير، والناس قد سئمت الأحاديث وسئمت ترددها في الشرائط وفي الإذاعات، ويريدون أن يروا هذه الأحاديث ظاهرة على هيئات القائلين بها.

نريد أن نرى هذه الأوصاف ظاهرة علامات على رجال الله ﷻ، الَّذين نتعشم أننا جميعاً منهم إن شاء الله، لأن الناس في الدنيا والآخرة في فقر إلى هذه الأخلاق الحميدة، وليس لنا في الدنيا والآخرة رفعة إلاَّ بهذه الأخلاق الكاملة؛ أخلاق رسول الله ﷺ وأخلاق أصحابه الكرام ﷺ وأرضاهم.

نسأل الله ﷻ أن يُجَمِّلَنَا بأحوالهم، وأن يُخَلِّقَنَا بأخلاقهم، وأن يُكَلِّمَنَا بصفاتهم، وأن يرزقنا المتابعة لهديهم، وأن يوفقنا للسير على مناهجهم، وأن يأخذ بأيدينا وناصيتنا للسير على منوالهم، حتى نكون منهم ومعهم ..وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم ..

---

٤٦ متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه

الفصل الخامس

رسالة القيم والفضائل

آداب سماع العلم

الغاية من رسالته ﷺ

بضاعة الرحمن وبضاعة الشيطان

المعركة بين جند الرحمن والنفس والشيطان

الجهاد الأكبر

لواء الفضيلة

أعباء الداعي إلى الله

الفصل الخامس

رسالة القيم والفضائل[٤٧]

الحمد لله رب العالمين، المهيمن على الوجود، والذي اصطفى للخلائق خير مولود وأفضل موجود. اللهم صلِّي وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، سدرة منتهى علوم الخلائق، والذي إليه تنتهي المقامات الإلهية في القرب لكل قاصد، بحر اللطائف، ومحيط المعاني، وسر القرب والتداني. صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكل من مشى على منواله، أو تمسك بهديه وتكمل بكماله إلى يوم الدين، آمين آمين يا ربَّ العالمين. أما بعد ...

فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله: بارك الله فيكم أجمعين

في الحقيقة الإنسان يتحيَّر إذا كان سيتحدث مع علماء مثلكم، لأنهم يعلمون ما سنقول، بل ربما يتذكرون ما نسيناه في زحمة المشاغل والمشاكل التي نواجهها في هذه الحياة، وهذا إلى أن ما سنقوله قد تكونوا سمعتموه مراراً وتكراراً، ولذلك فقد يجلس البعض بذهن شارد لأنه كلام معاد، وقد ينصرف البعض بأحاديث جانبيه لأنه كلام سبق له أن سمعه، ولكن أدَّبنا الصالحون ﷺ أن نستمع لأي مقال – ولو كرِّر أمامنا في ألف جلسة – على أننا نسمعه لأول مرة.

وقد جربنا ذلك فوجدنا الخير في ذلك، حتى أنني أحياناً أجلس لصلاة الجمعة في مجلس عادي، ويكون الخطيب عادي، وربما يخطب في ورقة، ولكني لا أجعل همِّي إلى الخطيب وهيئته، ولا ألفت نظري إلى ورقته، وإنما أركز على معاني الكلام الذي يقوله،

---

٤٧ كانت هذه المحاضرة في مسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة - الخميس ١٩٩٦/٧/٢٦م الموافق ١١ ربيع الأول ١٤١٧هـ في الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ.

فأخرج مستفيداً بحمد الله ﷻ، كما ورد بالأثر (خذوا الحكمة ولو من أفواه المجانين)[٤٨]. فليس كل ما قيل جاء أوانه، ولا كل ما جاء أوانه جاء زمانه، ولا كل ما جاء زمانه جاء رجاله. فنحن جميعاً نتلوا كلام الله القرآن الكريم، وبعضنا يحفظه عن ظهر قلب، ولكن أحياناً يسمع الإنسان الآية وكأنه يسمعها لأول مرة!!

ولا تظنوا أن ذلك لنا فقط، بل حتى لأكابر القوم، فسيدنا عمر ﷺ وأرضاه لما سمع بانتقال سيدنا رسول الله ﷺ، جاء وسيفه على عاتقه وهو يقول: (مَنْ قال أن مُحَمَّداً قد مات قطعت عنقه، وإنما ذهب إلى لقاء ربّه كما ذهب موسى عليه السلام ﷺ عندما ترك قومه، وسيرجع إلينا مرة أخرى).

فجاء الصديق – وكلام الصديق فيه التثبيت لمن يسمعه ﷺ وأرضاه، لأن معه القول الثابت الذي يقول فيه الله ﷻ [٢٧:إبراهيم]:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾

كيف يثبّتهم بالقول الثابت؟

هيأ لهم الأسباب حتى يسمعوا من صدّيق، أو رجل على قدم الصديق، فيثبت حالهم، ويقوي يقينهم، ويزيد إيمانهم، لأنهم يسمعون مِنْ الذي أعطاه الله وجمَّله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

فلما جاء الصديق ووجد القوم وقد أصابهم الفزع؛ سيدنا عثمان أخرس، وسيدنا علي أُقعد ولم يستطيع النهوض والقيام، وغيرهم كذلك، خطب فيهم قائلاً:

(من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت) ثم تلى قول الله ﷻ:

---

٤٨ جامع الأحاديث والمراسيل والعسكري في الأمثال عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (خذوا الحكمة ممن سمعتموها، فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير رامٍ)

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [١٤٤آل عمران]

سيدنا عمر عندما استمع إلى هذه الآية، ماذا قال؟ قال: كأنني أسمع هذه الآية لأول مرة، مع أنه حافظ للقرآن، ويرتل القرآن، ولا ينقطع عن تلاوة القرآن؛ لكن لما جاء أوان هذه الآية وقرأها رجل من أهل العناية حلَّت في القلب، ونزلت في موضعها اللائق في القلب، فكانت بالنسبة لوقعها على قلبه أول مرة تنزل على هذا القلب بمعانيها وحقائقها وتثبيتها الروحاني من الله ﷻ.

آداب سماع العلم

ومن أجل ذلك علَّمُونا أن الإنسان دائماً عندما يسمع أيَّ كلام لأي عالم من العلماء يستقبله على أنه يسمعه لأول مرة، لماذا؟ البعض ينشغل بَالُهُ بالكلام إذا كان يعرفه، وخاصة إذا كان عالماً، فعندما يسمع سياق يقول في نفسه كان من الواجب أن يقول هنا كذا، وكان يجب أن يصلح هذه العبارة، وكان يجب أن يذكر اسم صاحب هذه الحادثة، فيكون مشغولاً بالتعديل ومن هنا يُعْدَمُ الانتفاع.

لكن الذي يسمع لينتفع، فهو يسمع الكلام وهو يعلم أن ملك الإلهام هو الذي يُلْهِمُ العلماء العاملين والأولياء والصالحين بما يفيد الحاضرين:

فالذي يأتي دواء قد يكون الدواء تكرر لكن في هذه المرة يأتي الشفاء، أحيانًا أكون عارف بالدواء، وأحضره من الصيدلية وأستخدمه ولا يتم الشفاء، وبمجرد أن أذهب إلى الطبيب ويكشف عليَّ ويعطيني دواءً ربما يكون أقل منه في الجرعة أو في القوة، لكن يأتي الشفاء!!

وهذا أمر الله يا إخواني في سماع دروس العلم – كما علَّمَنَا عباد الله الصالحون، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

عَنِّي اسْمَعُوا مَا تَعْقِلُونَ مِنْ الكَلام فَالعِلْمُ بِالرَّحْمَن مِنْ صَافِي المُدَام
خُذْ مَا صَفَا لَكَ مِنْ إشَارَةِ عَارِفٍ فَالعَارِفُونَ كَلامُهُمْ يَشْفِي السِّقَام

ولا يقول أحد من إخواننا الأكابر من العلماء أنا غني عن مثل هذا الكلام، لأنه ربما يكون المريض الذي يئس منه الأطباء علاجه في قرص أسبرين يشتريها من حانوت بقالة وهو مستهتر بها، ويقول أن أشتري العلبة بألف جنيه كيف آخذ أسبرين؟ ألا يدري أن هذه أسباب جعلها مسبب الأسباب ﷻ!!

فالإنسان عندما يجلس في مجالس العلم فوراً يغلق مخازن العلم التي معه، ويغلق المسجل الداخلي الذي معه – أي: حديث النفس – ويفتح شريطاً جديداً من أجل أن يستمع إلى علم طازج نازل من عند الحميد المجيد ﷻ، فلا يقول: هذا الكلام لمن حولي وأنا عالم لا أحتاج إليه، أو يقول: أنا بلغت مقاماً عظيماً وأقول أحسن من هذا الكلام على المنابر، لأن الأمر كما قلنا – يا إخواني – فالشفاء من الله، وقد يأتي بأوهى سبب إذا أراد الله ﷻ.

فكلنا والحمد لله حافظين سيرة سيدنا رسول الله ﷺ، وبعضنا يكاد يحفظها بأسانيدها عن ظهر قلب، لكن ربنا قال لنا فيها وفي قصص الأنبياء والصالحين والأولياء والصديقين والمقربين:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [١١١:يوسف]

فالمهم أخذ العبرة في هذه القصة، أي عبرة؟ أخذ عبرة هذا العام أعمل بها هذا العام، عندما أعمل بها ربنا يعطيني عبرة ثانية أعمل بها السنة القادمةن وليس عبرة واحدة عِبَر لا يعلمها إلا الله ﷻ لأن معاني كلام الله لا حدَّ لها ولا عدَّ لها، ولا يستطيع أحد أن يفصلها كل التفصيل إلا اللطيف الخبير عزَّ وجلَّ.

فنحن جميعاً والحمد له كلنا حافظين السيرة، وعارفين كيف ولد سيدنا رسول الله؟ وكيف كانت حياته؟ وكيف كانت مجاهداته؟ وكيف كانت عباداته؟ لكن أنا آخذ العبرة لنفسي أولاً، فالدرس الذي أقوله هنا أفكر نفسي به، وأذكر نفسي به لأستحضر مهمتي مع رسول الله ﷺ التي كلفني بها الله ﷻ، وإخواننا يتذكرون الرسالة التي كلَّفهم بها الله في مناصرة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

الغاية من رسالته ﷺ

سيدنا رسول الله ﷺ باختصار حتى لا نطيل عليكم ولا نتشعب، لأن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً؛ رسالته أريد أن أعرف غايتها في كلمة واحدة، فهو ﷺ قال:

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٤٩]

، غايتي أتمم مكارم الأخلاق، ومنذ متى تُبني مكارم الأخلاق؟ من أول آدم عليه السلام، فكان كل نبي يأتي ومعه شيء من الأخلاق الإلهية، يحاول أن يطبع بها من حوله من أهل الثلة الإيمانية.

لأنه من أول آدم – لما حدث الخلاف بينه وبين الشيطان في الجنات – نزل آدم مندوباً عن حضرة الرحمن، معه توكيل بضاعة الإيمان، ونزل الشيطان ومعه بضاعته التي يحارب بها عباد الرحمن، وليس لآدم وحده بل من أول آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأصبح آدم وذريته وأتباعه الَّذين يمشون وراءه ويتبعونه في المنهج – هؤلاء معهم توكيل بضاعة الرحمن، وهم الَّذين أخذوا التوكيل الذي تمنت الملائكة أن تناله في كل سماء من سموات الله ﷻ، اشرأبت أعناقهم، وتاقت نفوسهم، وتمنَّوا جميعاً أن يحصلوا على توكيل:

---

٤٩ رواه البيهقي في سننه والدرامي عن أبي هريرة

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٣٠البقرة]

بضاعة الرحمن وبضاعة الشيطان

خليفة في أي شيء؟ قال: خليفة عني في صفاتي، ولذلك قال ﷺ: (إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه). أي هؤلاء الَّذين أخذوا صفة عن صفات الله ﷻ، كل الكرم والعطف، والشفقة والحنان، والعفو والجود، والرأفة والهداية، والحلم والصفح والأمانة، وفي كل أخلاق الله وجمال الله وكمالات الله، هذه البضاعة عند العبد الذي ورث الخلافة عن آدم، وآدم عن الله ﷻ.

وماذا يفعل الشيطان؟ يريد أن يهدم هذه الكمالات، ويريد أن يقضي على هذه البضاعة، فمعه الغدر واللؤم، والخسة والخيانة والخديعة، والبطش والزور والظلم، والكذب والبهتان، وشهادة الزور والغرور، وغيرها من هذه الأصناف التي هي مع الشيطان – ومع أذناب وأتباع الشيطان – يروجونها ليحاربوا بها عباد الرحمن في كل مكان.

متى بدأت شرارة هذه الحرب؟

من ساعة ما اختار الله عزَّ وجلَّ آدم لخلافته!

ولذلك سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه – وكان من الَّذين أخذوا التوكيل في زمانه – عندما سأله مَنْ حوله وقالوا: لو لم يأكل آدم من الشجرة لمكثنا في الجنة. فقال لهم: ألم تسمعوا كلام الله:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٣٠:البقرة]

لم يقل إني جاعل في الجنة، فالخلافة كانت لابد أن تتم في الأرض، لأنه قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ولا تجوز في الجنة لأن الجنة ليست ميداناً للحرب، فالَّذين في الجنة:

﴿ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٦:التحريم]

المعركة بين جند الرحمن والنفس والشيطان

فليس هناك حرب بل ميدان المعركة على هذه الأرض، بعدما تتركب الشهوة في الإنسان، ويكون فيه النفس ومعها الروح، ومعهم الجسم ومعهم القلب، والكل يتصارع على كرسي العرش. فالكل يريد أن يكون صاحب هذه الدولة، والنفس تريد أن تسيّرني على هواها، والقلب يريد أن أمشى على حسب مُناه، والجسم يريد أن يأخذ شهواته وفقط :

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [٦٩النساء]

هذه الحرب معي وداخلي وليست خارجي!! عندما تعرض عليَّ معصية تدور رحى الحرب في داخلي، فالبعض يحضُّ على فعلها، والبعض الآخر ينهى عن ذلك؛ فالأولون يقولون: اعملها وربنا غفور رحيم، وبعد ذلك تتوب، والآخرون يقولون: ربما تموت وأنت تعملها. فيحدث الصراع بين الفئتين، فإذا كنت مهتماً بالقلب وجنوده، وأغذيهم بغذاء القرآن، وأعطيهم فيتامينات من سُنَّة النَّبِيّ العدنان، وأجعلهم دائماً يستمعون بخشوع من العلماء الَّذين قلوبهم تأتي بالثمار العلمية الشهية الطازجة من

حضرة الرحمن؛ على الفور يرعون وينتهون عن الغي وعن القبيح.

أما إذا أهملت الإيمان بداخلي فأجعته، ومنعت عنه كتاب الله، وسنة رسول الله والعلم النافع من الله ﷻ، وقوَّيت الجسم وأتيت له بكل ما لذَّ وطاب، فسينزوي الإيمان ولن أستطيع أن أتغلب على جنود الشيطان، وكلما طلب القلب النصرة يجد الخسران والخذلان، فأقع في المعصية، وبعد المعصية أرجع وأقول: يا تواب، يا غفور، يا رحيم، يا كريم، وهو سبحانه وتعالى يفتح الباب لأنه:

﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [٢٢٢:البقرة]

لكن الذي لا يتوب ويرى أن الذي يعمله خيراً، والذي يفعله هذا حسن، وأنه لم يره أحد لأنه لا يرى الله ﷻ،:فهذا دليل على أن الإيمان عنده مات وغسلوه وكفنوه ودفنوه، وأصبح يمشي جسماً بغير روح، والذي يمشي جسماً بغير روح من الذي يلبسه؟ هل أنتم حافظين القرآن يا إخواني؟

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [٣٦الزخرف]

أصبح معه شيطان ملازم له، يسول له ويملي له، ويقول له: العمر ما زال طويلاً، وعندما يقترب الإنسان من الموت يتوب ويرجع إلى الله ويستغفر وينـدم، ويقرّب له البعيد، ويبعد له القريب، ليغويه ويغريه، ويخضع لزينة الحياة الدنيا وإغراءات الشيطان ... هذه الحرب مستمرة إلى متى؟ الشيطان عندما حدثت المعركة طلب من الله أن هذه المعركة تظل مستمرة مع آدم ومن يأتي بعده إلى يوم القيامة:

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [٧٩، ٨٠:ص]

بل بلغ من خسَّتِهِ أن قال له: لن أترك منهم أحداً وأقسم بعزَّة الله ﷻ[٨٢،٨٣:ص]:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

الجهاد الأكبر

إذن هنا حرب دائرة في الأكوان منذ نزول آدم من الجنان إلى أن تنتهي الدنيا ومن عليها؛ في جهة منها جُنْدُ الرحمن، وقادتهم الأنبياء والمرسلون، وبعدهم العلماء العاملون والأولياء والصالحون، وعدتهم وعتادهم والَّذين يعينونهم هم عباد الرحمن من المؤمنين، وفي الجانب الآخر الشيطان ومعه أهل الكفر، وأهل الشرك وأهل الجحود، وأهل الأهواء وأهل المعاصي، وهؤلاء كثير، والحرب دائرة ومستمرة.

أهل الله ﷻ مددهم يأتي من السماء، وينزل على القلوب، فينزل مددهم نوراً من الله، وسكينة من الله، وطمأنينة من الله، وإلهاماً من الله، وعلماً وهبيًّا من الله، فيثبِّتهم ويُعينهم على عدوهم الذي قال لهم فيه:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [٦:فاطر]

أي: فلا تسالموه في يوم من الأيام، ولا تأمنوا مكره وغدره في نفس من الأنفاس. والشيطان سخَّر الله ﷻ مع أعوانه الأكوان؛ معهم المال، ومعهم الزخارف، ومعهم المطارف، ومعهم الجمال، ومعهم الأهواء، ومعهم الحظوظ، ومعهم الشهوات، فإغراءاتهم تَغْوِي العيون، ولا يستطيع أن يّنْفُذَ منها إلاَّ مَنْ تحصَّن بالله، وتمسك بهدي سيِّدنا ومولانا رسول الله ﷺ. هؤلاء يريدون أن ينشروا الفضيلة وهؤلاء يريدون أن ينشروا الرذيلة. هذه هي الحرب!! وللأسف أن الحرب في هذا العصر الذي نحن فيه وصلت في زحفها إلى صفوف المقاتلين من المسلمين.

بأي شيء نحارب؟ بالصدق، أين هو؟!! تسلَّحنا بسلاح العدو!! وأصبح الكذب عُدَّتنا وعتادنا!! والأمانة، أين هي؟!! لو أمكن للرجل أن يأخذ الدينار من عين أخيه لفعل!! فليس مهمَّاً عنده عين أخيه، ولكن المهم هو الدينار أو الدولار أو الجنيه، وهذه هي المصيبة التي وقع فيها كثير من المسلمين!! لكن لا تقعوا فيها أنتم، لأنكم

حملة الرسالة والقائمين بالنيابة عن سيدنا رسول الله ﷺ بهذه الأمانة.

ما الذي حمَّله لنا وورثه لنا رسول الله؟ لواء الفضيلة!! ولا يظن أحد منكم أنه معه لواء الهداية، لأن الهداية مع الله:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [٥٦:القصص]

فالهداية كلُّها مِنْ الله.

لواء الفضيلة

وما اللواء الذي نحمله يا إخواني؟ لواء الفضيلة.

ماذا أبيع أنا وأنتم؟ نحن نمشي في وسط هذا المجتمع نبيع للناس الصدق والمروءة، والأمانة والكرم، والجود والوفاء بالعهد، والإخلاص وكل ما جاء به الأنبياء والمرسلون من بضاعة ربِّ العالمين ﷻ، والتي هي مبثوثة ومنتشرة في كتاب الله ﷻ.

انظروا إلى المعارض القرآنية التي تعرضها!! انظروا إلى هذه اللوحات، اقرأ مثلاً:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [٢٣:الأحزاب]

انظروا إلى هذه اللوحة إلى آخرها – وغيرها من اللوحات القرآنية، نحن الآن كما ترى أصبحت الحرب ليست بالسيف، أو نواجه بعضنا بعضاً بالمدافع أو الدبابات، ولكنها حرب في الأخلاق والمعاملات!! فالعدو وجنوده يريدون أن يغيّروني بدلاً من أن أكون رجلاً صادقًا أكون ليس لي كلمة، وبدلاً من أن أكون أميناً – من أجل أن أستحق أن أكون أميناً على علم الله، وعلى أسرار الله، وعلى تقدير الله – يريدون أن أكون عندي شيء من الخيانة.

فالمؤمن في هذا الزمان – يا إخواني – في حرب دائمة:

ويجب عليه أن يتمسك بالفضائل – ولو لم يكن في الكون كله إلا هو يظل كما هو، ويتبدل الزمان أو يتغيّر لأنني أعلم بأنني عن قريب سوف ألقى الله ﷻ، وسيسألني عن الأمانة التي كلفني بها الله ﷻ، ماذا أقول له؟ أقول له: أن الحاجة في الدنيا، وطلبات الدنيا، جعلتني أغشُّ لآكل وأعيش!! يقول لي: هذا ليس بعذر. أو جعلتني أخون فلانًا لأعيش!! يقول لي: ليس هذا بعذر. لماذا؟ لأنه عندما حملني رسالة الفضيلة قال لي: أنت تحمل الرسالة والباقي على الله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [١١٠:آل عمران]

أعباء الداعي إلى الله على مولاه

فإذا قمت بهذه الرسالة قال لي: توكَّلْ عليَّ واعتمد عليَّ، وانظر إلى نبيِّك كيف كان حاله ﷺ؟ كلنا نعرف بأنه كان فقيراً، مرة يرعى الغنم ومرة يتاجر للسيدة خديجة، ولما كلَّفه الله بالرسالة ضمن له قضاء جميع حاجاته:

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ [٨:الضحى]

أغناه الله عن الخلق!! كيف كان ذلك؟

رجلٌ من اليهود، كان من أغنى أغنياء اليهود ولم يعقب نسلاً (ليس له أولاد) فشرح الله ﷻ صدره للإسلام، وذهب إلى اليهود وقال:

{يا معشر يهود، ما تعلمون عني؟ قالوا: إنك خيرنا وابن خيرنا، وكان في غزوة أحد، قال: تعلمون أن محمداً على الحقِّ فاخرجوا لنصرته، قالوا: لا. قال: فإني أشهدكم أني آمنتُ به وبرسالته،

وسأخرج إلى نصرته، فإذا متُ فمالي كلُّه لمحمد ﷺ، وكتب وصيته وخرج، وأعطاها لرسول الله ﷺ، ودارت المعركة - ولم يكن صلى أو صام!! ولكنه دخل لنصرة رسول الإسلام ﷺ - وفي المعركة استشهد}[٥٠]

فأصبح هذا المال لرسول الله ﷺ، وأغناه الله حتى لا يحتاج إلى سواه، لماذا؟ لأنه يقوم بحمل الأمانة التي كلَّفه بها الله ﷻ.

فالذي يحمل الرسالة ويمشي بالأمانة لا ينبغي أن يسمع لكلام أعوان الشيطان، مثلما نسمع البعض الآن يقولون للتاجر: كيف تبيع يا فلان؟ فيقول: أبيع بالصدق والأمانة، فيقولون: أنت بذلك لن تعيش ولن تأكل أو تشرب، إذا لم تغش فلن تنفع، والحديث يقول: (من لم يتذأب تأكله الذئاب)، من أين أتوا بهذا الحديث؟!! وهو ليس بحديث، ولكنهم يؤيدون كلامهم لتسمع لهم ولإغرائهم!! لكن الله ﷻ وَعَدَ بنصرنا فقال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧:الروم] .. ولم يقل المؤمنين مع النبي فقط، ولكن المؤمنين في كل زمان ومكان!! وعد الله ﷻ أن ينصرهم ولا يحوجهم إلى عداه طرفة عين ولا أقل، ما داموا تمسكوا بهدي الله، وبشرع الله، وبالرسالة التي كلَّفهم بها الله ﷻ.

إذاً رسالتنا يا إخواني الفضيلة. .....

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٥٠ قال ابن إسحاق: {وكان من حديث مخيريق - وكان حبراً عالماً، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله بصفته وما يجد في علمه - وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، - وكان يوم أحد يوم السبت – قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله. فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل. فكان رسول الله فيما بلغني يقول: مخيريق خير اليهود، وقبض رسول الله أمواله فهي عامة صدقات رسول الله بالمدينة منها}.

الفصل السادس

محبة الصالحين
لإمام الأنبياء والمرسلين

باب الفضل وسرُّ الوصول

تربيته ﷺ لأصحابه الكرام

سرُّ حب الصَّالحين
للرءوف الرحيم
جمال المقربين
الرحمة التامة

الفصل السادس

محبة الصالحين لإمام الأنبياء والمرسلين[٥١]

الحمد لله الذي ثبَّت منا الأسماع والأبصار، وملأ قلوبنا بحب النبي المختار. والصلاة والسلام على زَيْنِ المرسلين، وغُرَّة الأولين والآخرين، والصورة الأكملية التي اختارها الله ﷻ لعباده الصالحين، سيدنا ومولانا مُحَمَّد بن عَبْدِ الله، شمس عالم الملكوت، وسِدْرَةِ علوم حضرة الحي الذي لا يموت، ولسان الحقِّ الذي لا ينطق عن الهوى، والمعصوم من البواعث النفسانية والأهواء الإبليسية، والذي تولاه مولاه فوالاه، وجعله فاتحاً لكلِّ كنوز الفضل والكرم والجود التي أوجدها الله، ونسأله ﷻ أن يجعلنا جميعاً من أهل فضله وعطاياه. أما بعد ...

فيا إخواني ويا أحبابي: بارك الله فيكم ... لا أطيل عليكم، فإن ليل الصيف قصير، ولكن سؤال واحد سأجيب عنه بقدر معلوم، حتى لا يطول بنا الأمل والوقت، وهو: لماذا يهتم الصالحون بمحبَّة سيدنا رسول الله ﷺ، ويعولون عليها ويجعلون لها جانباً عظيماً في كل شئونهم وأحوالهم، حتى أنه قلَّ وندر أن تجد رجلاً من كبار الصالحين إلاَّ وله آثار مروية في محبَّة سيِّد الأولين والآخرين ﷺ، بعضها شعراً وبعضها نَثْراً، بعضها في شمائله وأخلاقه وكمالاته، وبعضها في ميلاده، وبعضها في مقاماته، وبعضها في شفاعته، وبعضها في أنواره، والأمر كما قال الله ﷻ لنا جميعاً في شأنه صلوات الله وسلامه عليه:

---

٥١ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/٧/١٧م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة في ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [٣٤:إبراهيم]

ونعمة الله – لم يقل الله في الآية (وإن تعدوا نعم الله)، لكنها نعمة واحدة!! ما هذه النعمة؟ هي التي ذكَّرنا بها الله فقال:

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ [١٠٣:آل عمران]

فالنعمة التي ألَّفَتْ بين القلوب: ﴿ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾

ما هذه النعمة؟ هو سيدنا رسول الله ﷺ.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ يعني: وإن تعدوا الكمالات التي أعطاها له الله، والمقامات التي أنزله فيها الله، والعطايا التي حباه بها الله، وغيرها من أصناف الجود والكرم الإلهي – لا تستطيعوا أن تحصوا عُشر معشار بعض أقداره؛ لأن فضل رسول الله كما قال الإمام البوصيري رضي الله عنه:

فإنَّ فَضْلَ رسولِ اللـه ليسَ لـهُ حَـدٌّ فيُعْـرِبَ عنـه نـاطِقٌ بفَـمِ

باب الفضل وسرُّ الوصول

لِمَ جعل الصالحون أساس سلوكهم، وباب فضلهم، وبراق رقيِّهم، وسرَّ وصولهم إلى الله هو رسول الله ﷺ؟. لأن الله خلع عليه الكمالات التي يحبها، والأخلاق التي يرتضيها، وكل أصناف العبادات والعادات والمعاملات التي يجتبيها الله ﷻ من خلقه، ويزيدهم ويكافئهم عليها من عنده ﷻ.

أيقن الصالحون بهذه الحقيقة، فعلموا علم اليقين أنه لا يكون الرجل من الصالحين حتى يتحلى من أخلاقه بأخلاق سيد الأولين والآخرين، ولن يلبسهم الله ﷻ ملابس الأضواء الإلهية، والحسنى والسعادة الأبدية إلا إذا كانوا متمسكين في كل أنفاسهم بهدي النبيّ الكريم ﷺ.

فمن وصل أخلاقه بأخلاقه وصله الله، ومن تمسك في نفسه بما جُبِلَتْ عليه فطرته ونفسه من أخلاقه وعاداته حجبه الله ﷻ، لا يسمح له بذرة من الأنوار الربانية.

ومن هنا أدرك الصالحون أنهم لكي ينالوا المراد من ربِّ العباد:

- لابد أن يتخلوا عن فطر نفوسهم، وعن عاداتهم، وعن أخلاقهم.
- ويتجملوا بالجمال الذي ارتضاه الله.
- ويسارعوا إلى الكمال الذي يحبُّه الله، وهو الذي ظهر في سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وكانوا في ذلك شديدي اللمح!!.

واعلموا يا إخواني علم اليقين:

أنه لا يشم العبد رائحة الصالحين، ولا ينال ما تشتهيه نفسه من أحوال المقربين:

- إلا إذا كان شديد الملاحظة لأحوال سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه، فلا يحتاج إلى القول، ولا يحتاج إلى الأمر والزجر ...

بل لو تصفحت سيرة الصالحين تجد كثيراً منهم يقول على سبيل المثال:

(حُبِّبَ إليَّ فعل كذا وكذا، ولم أكن قد اطلعت عليه في كتاب، أو سمعته من أحد، جبلة وفطرة، ثم بعد برهة من الزمن اطلعت في كتاب كذا فوجدت أن هذا من أحوال الأولياء والصالحين).

حتى أن الصالحين في صغرهم :

تظهر عليهم أنوار التقوى والصلاح في تصرفاتهم وفي سلوكهم – ويلحظها العلماء العاملون، والخاشعون والخاشون لله ﷻ – بدون معلم ...

لأنهم يلحظون بكل أحوالهم حضرة رسول الله ﷺ، فقد كان أئمتنا في هذا أصحابه رضوان الله ﷻ عليهم.

تربيته ﷺ لأصحابه الكرام

فقد كان ﷺ عندما ينظر بعينه؛ يَفْقَهُ كلُّ أصحابه ما يريد قبل أن يتفوه بلسانه، من شدة الشفافية الباطنية، والأنوار الإلهية السارية من هيكله ﷺ إلى بواطنهم وقلوبهم، فقد كانوا يعلمون أنه قد جاع ويحتاج إلى الطعام، بدون أن يبدي أيَّ شيء، أو يظهر عليه أيُّ شيء يلمحون به ذلك، حتى أنه كما تعلمون في الرواية الصحيحة:

{ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هذِهِ السَّاعَةَ؟ – في وقت القيلولة في صيف حار – **قالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ : وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا }**[٥٢] **وروى:{ أن النبيّ خرج ذات يوم فجلس، ثم إن أبا بكر جاء فجلس إلى النبيّ فقال: مَا أَخْرَجَكَ هذِهِ السَّاعَةَ؟ قال الجوع يا رسول الله. قال: وَأنا مَا أخْرَجَنِي إلاَّ الْجُوعُ، ثم جاءه عمر فقال مثل ذلك }**[٥٣]

فاشتركوا جميعاً في هذا الأمر.

وإياك أن تظن أنه من باب المصادفات:

وإنما حركة القلوب حركة واحدة، فظهر عليهم جميعاً اتحاد الأوصاف، واجتماع المعاني والكمالات، لأنهم جميعاً وقفوا على باب الله، ووقفوا منتظرين فضل الله من رسول الله ﷺ.

---

٥٢ الترغيب والترهيب عن أبي هريرة رضي الله عنه،
٥٣ والرواية أخرجها الطحاوى عن أبى سلمى فى البيان و التعريف.

ورسول الله لماذا أحبَّه الله وأثنى عليه؟ لأنه كان يسارع فيما يحبُّه مولاه، فقد فنى عن حظه، وفنى عن نفسه، ولم يعد له همٌّ إلا ما يرضي الله، وما يحبه الله، فأغناه الله بذلك عما سواه، حتى قالت له السيدة عائشة ﵂ وأرضاها:

{ ما أَرَى ربَّك إلا يُسارعُ في هَواك }[٥٤].

يعني لا تحتاج إلى شيء إلا ويفعله الله لك بدون طلب، لأنه لا يحتاج إلى شيء في نفسه ولا يفعل شيئاً عن شهوة ولا لحظٍّ جليٍّ أو خفيّ، وإنما يشتاق لما يرضي الله، ويسارع فيما يحبه الله، فقد كان كما قال الله ﷻ في شأنه:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٦٢، ١٦٣:الأنعام]

فهو أول رجل في الصف، وبقية الصف الَّذين بعده هم الَّذين ساروا على نهجه، فما أضعف ولا أخَّر المسلمين – في زماننا، ولا قبل زماننا، ولا بعد عصرنا – إلا شهوات النفوس، وحظوظ الأجسام، والآمال الفارغة في الدنيا الفانية!! لكن الَّذين تربوا على مائدة رسول الله الأعظم صلوات الله وسلامه عليه من أصحابه المباركين كان أول شيء عاهدوه عليه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ [١١١:التوبة]

ولم يبدأ بالمال، لأن الجهاد الأشد جهاد النفس، فقد ينفق الإنسان المال بإسراف وبدون حدٍّ لينال شهوة ترضي نفسه!! إذن الأساس الأول في البيع أن تكون النفس لله، ليس لها أطماع، ولا آمال ولا أغراض، إلا في رضا رب العباد ﷻ.

---

٥٤ البخاري عن عائشة أنها قالت:{كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) (الأحزاب:٥١) قلت: (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك)}.

هـذا هـو الأسـاس الأول الـذي بـني عليـه أصـحاب رسـول الله ﷺ اقتـداءهم ومتابعتهم للحبيب صلوات الله وسلامه عليه ...

ولذلك بعث النبيُّ عمر وأبا بكر جنوداً في جيش، وقائد هذا الجيش عمرو بن العاص – وكان قد دخل في الإسلام حديثاً – فلم يتبرم واحدٌ منهم، ولم يجد أحدٌ منهم شيئاً في نفسه، أو يشعر بحرج في صدره، لأنهم يعلمون أن مرادهم جميعاً في رضاء الله، جنوداً أو قادة ..!!! هذا شيء لا يهم، أما المهم: فهو أن يرضي الله ﷻ عنهم!!

ولم ينازعوه حتى في إمامة الصلاة ...

لأن إمام الجيش هو قائد الجيش – مع أنهم أقرأ منه لكتاب الله، وأوثق منه قربة عند الله، وأعلى منه منزلة ومكانة عند رسول الله ﷺ – لكنه صلوات الله وسلامه عليه جرَّدهم من هذه الأغراض الفانية، وجعلهم كما قال الله ﷻ:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[٣٧:النور]

ولذلك فلم يكن بينهم فتن ولا إحن، ولا أحقاد ولا أحساد ..

لأن هـذه الأمـراض تأتي مـن المنازعـة في المناصـب، .... أو مـن المنافسـة في المكاسب والرغبات الفانية ... لكن ما دام الكلُّ اختار الباقية وطلب رضاء الله ..!، فلم يختلفوا؟ ولم يتفرقوا؟ ولم يتحاسدوا ويتباغضوا؟ ليس لهذا الذي ذكرناه شأنٌ عندهم، بل هم كما قال الله:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾[٤٧:الحجر]

وإذا تدبرنا في سيرة أصحاب رسول الله وجدنا في ذلك الباب الجمَّ الكثير!

ولكنها تحتاج إلى من يقرأها بتدبر ...، ويعلي مثل هذه المواقف ... ويقابلها بصفاء قلب ونقاء سريرة.

سِرُّ حُبِّ الصالحين للرءوف الرحيم

والصالحون كأصحاب النبيِّ الأمين، لماذا أحبُّوا رسول الله؟ ليس لجمال جسمه، وإن كان قد بلغ فيه الكمال، وقال في ذلك سيدنا حسان بن ثابت:

وأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءً من كل عيب كأنك قد خلقت ما تشاء

لكن هذا لم يشغلهم حتى طرفة عين!

لكن الذي شغلهم الكمال والجمال الذي جمَّله به الله، لماذا؟ لأن مقصدهم كان رضاء الله.

وكيف يرضون الله؟ إذا بلغوا بعض الكمال وبعض الجمال الذي كان عليه رسول الله ﷺ. فأحبوه لما جمَّله به الله من صفاته الكريمة، ومن أخلاقه العظيمة، وسارعوا بأنفسهم إلى التخلق بتلك الصفات، والتأسي بهذه الكمالات.

ولذلك كانوا يفتشون في بطون الكتب عما ذكرناه!!

فلا يهتمون بسيرته في الأحوال الحربية وغزواته إلا بِقَدَرٍ، وإنما كان همُّهم في أخلاقه مع الخلق، وفي أحواله مع الحقّ، هذا محل نظرهم!!

كيف كان يعامل الخلق؟ وكيف كان حاله في عباداته، وفي مواجهاته، وفي مؤانساته، وفي ذكره للحقِّ ﷻ؟؟

هذا كلُّ همِّهم ومبلغ علمهم!

وهذه نهاية مطالبهم التي من أجلها بذلوا النفس والنفيس !!

لأن الصورة التي ارتضاها الله وأنبأ عنها في كتابه الكريم ليست بمفردها، بل هذا الكمال وهذا الجمال خلعه الله على أناس أحاطوا به، فقال في شأنهم وشأنه:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [٢٩:الفتح]

أي أهل معيته والَّذين معه، ما حالهم مع الخلق؟

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾

وحالهم مع الحق: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾

وما طلبهم؟ ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾

وما مكافأتهم؟

- جعل الله لهم نصيباً من الأنوار، ومن علوم الواحد القهار، ومن فيوضاته التي تجلَّى بها على قلب النَّبِيّ المختار، وجمعها كلَّها في قوله:

﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم﴾

وليست هي العلامة الظاهرة التي في الوجه، لأن الله لم يقل علامتهم، بل قال:

﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [٢٩:الفتح].

من الذي يعرفهم؟

﴿رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ [٤٦:الأعراف]

والله قال للنَّبِيّ:

﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ [٢٧٣:البقرة]

يعني بالجمال الباقي والجمال القلبي الذي جملَّوا به قلوبهم وبواطنهم لله ﷻ.

جمال المقربين

أناس فهموا من خطاب الله متابعة رسول الله ﷺ في حركاته الظاهرة، في هيئته وفي لبسه، وفي مشيه وفي أكله، وفي شربه وفي نومه. وهذا شيءٌ طيّبٌ، لكنه ليس هو الذي يصل به المرء لرضاء الله، وإنما يصل إلى ثواب الله ومغفرة الله. أما من يريد الوصول إلى رضاء الله، والوصول إلى ما يحبُّه الله، فعليه أن يُقبِلَ على نفسه وقواه ويجمِّلهم بالجمال الذي جمَّل به الله حبيبه ﷺ.

فالقرب جمال الحُبِّ لجميع الناس، والخشوع لله، والتواضع لخلق الله، والذلِّ فيما بينه وبين الناس، والعزَّة على الكافرين والتواضع للمؤمنين، كما أمر الله ﷻ في قرآنه:

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [٥٤:المائدة]

فالإقبال بصدق والفرار للواحد القهار ﷻ لا يتحقق إلا بعد الزهد في الفاني، والفرار من الدنيا وزهرتها وزينتها، ولا يتحقق ذلك إلا لِمَنْ تبع ذلك. يعني الذي يقول: أنا فررت إلى الله، ولا يملك من حطام الدنيا شيئاً، نقول له: قولك هذا يحتاج إلى دليل، ولا يتحقق الدليل إلا عندما تملك الدنيا في يدك؛ لأنه ربما تتغيَّر نيَّتُك إذا جاءك الغنى. لكن الفرار إلى الله لا يتحقق إلا لِمَنْ فرَّ إلى الله مع ما أعطاه الله من الوسعة في هذه الحياة، فيكون عنده ما لَذَّ وطاب، ويتنعم بالصيام، ويحس فيه بمتعة يَحْسِدُهُ عليها جميع الأنام، لأنه يعمله طلباً لمرضاة الله ﷻ.

ويكون عنده الفراش الوثير لكنه يجد متعة أن يترك فراشه ويقف على الأرض يناجي الله بكلامه، ويتملق إليه بإنعامه، يَجِدُ متعة في صلاة ركعتين في جوف الليل أكثر من متعة الآخرين في التلذذ بالنوم على الفرش والأسرة والأرائك، هذه هي المتعة القلبية التي يَحِسُّ بها الصالحون بعد متابعتهم لسيدنا رسول الله ﷺ.

فالصالحون يحبُّون رسول الله لِحُبِّ الله له، لأنه قال ﷺ فى معنى الحديث:

{ أَحِبُّونِي لِحُبِّ الله ﷻ لِي }[٥٥]

والله ﷻ أحبَّه لِمَا كان عليه من الأدب معه، ومن الكمال في معاملة خلقه، فقد كان مع الله لا يرفع بصره إلى السماء حياءً من الله ﷻ، ويقف بين يديه على قدم واحدة قائماً حتى تتورم قدماه من طول القيام، وتشفق عليه زوجته وتقول له:

{ بأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يا رسولَ الله قَدْ غَفَرَ الله لكَ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، قال: أفَلاَ أكونُ عبداً شكوراً }[٥٦]

شُغِفَ به حتى مَلَكَ عليه جميع أمره، فكان يذكره ﷻ على جميع أحواله:

إذا مشى وإذا قعد، حتى أنه إذا نام – من شدة شغفه وحبِّه لله – تنام عينه وقلبه لا ينام، فيذكر الله حتى في نومه من شدة شغله بالله ﷻ. لَمْ يَهَبْ أحداً ولم يخشَ إلاَّ الفرد الصمد.

وعرض عليه الكافرون كل ما تشتاق إليه النفس من متع الدنيا وزخارفها وزينتها، لكنه رفض ذلك كلَّه طمعاً في مرضاة ربه ﷻ ..

وعلى هذا الحال .... يجب أن يكون مَنْ يريد أن يكون قريباً .... ممن يقول للشيء كن فيكون.

تعصى الإله وأنت تزعم حبَّه هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فكان من شدة حبه لله:

---

٥٥ إشارة إلى الحديث الشريف الذى روى الترمذي والحاكم والطبراني عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي).

٥٦ السنن الكبرى للبيهقى ومسند الإمام أحمد وصحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنهم، وروى ابن حبان وابن خزيمة البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة {قَامَ النبيُّ، حَتَّى إِذَا تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً }.

ما وصفته به السيدة عائشة ﵂ وعن أبيهاحيث قالت:

{ كان رسول الله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه }[٥٧]

وليس كمن يزعم أنه يحبُّ الله ولا يستطيع القيام من أمام الفيديو أو التليفزيون ليلبي نداء الله، ويدَّعى مع ذلك أنه يحبُّ رسول الله ﷺ !!

ولذلك قاس الصالحون أحوالهم على أحواله حتى يكونوا على منواله:

فأعطاهم الله بعض ذرة من محيط كماله ﷺ، فأشرق على قلوبهم بأنوار الحبيب صلوات الله وسلامه عليه، فأحبُّوا رسول الله لأنهم عشقوا الجمال الذي جمَّله به الله، مع الله ومع خلق الله، سواء مع الأعداء أو مع الأحباء.

فلو نظرت إليه وإلى أنبياء الله ورسله:

تجد الكمال كلَّه في ذاته صلوات الله وسلامه عليه!! فلم يتعرض واحد منهم بل ولم يتعرض جملتهم إلى ما تعرض لبعضه ﷺ من الإيذاء، لكنه لم يدعُ على مَنْ أذاه كما دعوا، بل كان يقول:

(اللهم اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون)[٥٨].

وكلما اشتدوا في إيذائه كلما اشتد ﷺ في الشفقة والحنو عليهم، ويطالب الحضرة الإلهية بالإقبال عليهم، حتى قال الله ﷻ له فى محكم التنزيل فى (٦ الكهف):

﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾

---

٥٧ فيض القدير وفى طبقات الشافعية الكبرى وإحياء علوم الدين وربيع الأبرار، فى وفى تخريج أحاديث الإحياء للعراقي: روى الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلاً: (كان النبي ﷺ إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحداً من الناس).

٥٨ رواه ابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي في شعبه عن سهل بن سعد ﷺ.

فقد كان يتمنى أن يؤمنوا بأي وسيلة وبأي كيفية من فرط رحمته صلوات الله وسلامه عليه ... يأتيه الرجل ومعه جمل، فيقول له: احْمِلْ لي على هذا الجمل[٥٩] مما أتاك الله يا مُحَمَّد، فإنه ليس مالك وليس مال أبيك. فيقول ﷺ لأصحابه: احملوا له جمله، ويروى آنس ﷺ أنه ﷺ قال له:

{ المال مال الله وأنا عبده، ثم قال: ويُقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي- يعني سآخذ حقي منك!- قال: لا، قال: لِمَ؟ قال: لأنك لا تكافىء بالسيئةِ السيئةَ، فضحك عليه الصلاة والسلام، ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعيرٌ، وعلى الآخر تمرٌ }[٦٠]

{ لا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلما }[٦١].

وإذا تصفحنا في سيرة الصالحين تجدهم على هذا النهج مع الله! ومع خلق الله!

وبطون الكتب مملوءة بمدى حبِّهم لله، وإقبالهم على الله ﷻ، حتى كان بعضهم يغيب عن نفسه وعن أهله أياماً كثيرة، لا يلتفت إلى طعام، ولا إلى شراب، ولا إلى زوجة شغلاً بالله ﷻ.

فهذا الإمام أحمد البدوي ﷺ كان يقف في غار حراء – وذهب إليه وعاش فيه سبع سنين أسوة بالنبي الأمين ﷺ – وكان يقف أمام الغار أربعين يوماً واقفاً، لا يأكل ولا يشرب ولا يشتهي شيئاً من ذلك، لأنه أُخِذَ بكلِّه مع ربِّه ﷻ. وغيره كثيرٌ في هذا المجال أسوة برسول الله ﷺ، فكان كفائهم وغذائهم من باب قوله ﷺ:

---

٥٩ ورد فى كنز العمال عن أبى هريرة ﷺ { كنا نقعد مع رسول الله ﷺ بالغدوات في المسجد فإذا قام إلى بيته لم نزل قياما حتى يدخل بيته، فقام يوما فلما بلغ وسط المسجد أدركه أعرابي فقال: يا محمد احملني على بعيرين فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك وجذب بردائه حين أدركه فاحمرت رقبته، فقال رسول الله ﷺ: لا، وأستغفر الله لا أحملك حتى تقيدني قالها ثلاث مرات، ثم دعا رجلا فقال له: احمله على بعيرين، على بعير شعير وعلى بعير تمر.

٦٠ نور اليقين عن أنس، والشفا بتعريف حقوق المصطفى.

٦١ من حديث عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ الحبر فيما أخرجه البيهقي.

{ أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني }[٦٢]

من يطمع في هذه الوراثة بغير هذه الكياسة، نقول له: إنك تطمع في محال، لأن هذا طريق الرجال:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾

الأسوة الحسنة لمن؟ للذي يريد الله واليوم الآخر، والشرط الثالث المهم:

﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١:الأحزاب)

أما الذي يدَّعِي أنه يحِبُّ الله ويرجو فضل الله، لكنه يكسل عن ذكر الله، فلا يطمع في رضاء الله، ولا في عطاء الله، ولا في فضل الله، لكن الذي يطمع في ذلك:

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [١٩١:آل عمران]

لا يشغلهم نفس عن ذكر الله ﷻ لأنهم يتأسون في ذلك برسول الله ﷺ.

- فأقبل الصالحون على رسول الله وعاشوا أحواله، وجعلوا أخلاقهم على هديه، وعلى قدرهم وليس على قدره ﷺ، فإنه لم يبلغ قدره أحد صلوات الله وسلامه عليه، لا في الأولين ولا في الآخرين، لكن كلٌّ يحاول على قدره بما يشرح الله ﷻ صدره، وكلما زاد في التشبه به قلبيًّا وخُلُقِيًّا – سواء مع الناس، أو مع ربِّ الناس – كلما زاد في المقام عند الله ﷻ.

لكن من تشبه به ظاهريًّا، وقضى الليل قائماً يصلي، والنهار صائماً، وحجَّ كل عام، ولم يمش على نهجه مع الله ولا مع الأنام، فمثله قوله ﷺ – عندما قيل له:

---

٦٢ رواه اسحاق بن راهويه في مسنده عن عائشة رضي الله عنها، وفى شرح النووى على صحيح مسلم وعون المعبود فى شرح سنن أبى داوود.

{ أن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، ولكنها تؤذي جيرانها، فقال ﷺ: لا خير فيها، هي في النار }[٦٣].

الرحمة التَّامة

إذن العبرة بالأخلاق الباطنة وبالرحمة التي كان عليها ﷺ للصغير والكبير، وللأرملة وللمسكين، وللغني وللفقير، وللأمير وللحقير، وللمهتدي والضال ..

فقد كان رحمة كما وصفه الله لجميع خلق الله، حتى طمعت في رحمته الحيوانات والجمادات، فجاءت إليه الحيوانات تشتكي مِمَّنْ أذاها!!

وَرَوَى ابْنُ مَاجَه عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ:

{ كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ أَقْبَلَ بَعِيرٌ يَعْدُو حَتَّى وَقَفَ عَلَى هَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْبَعِيرِ اسْكُنْ، فَإِنْ تَكُ صَادِقاً فَلَكَ صِدْقُكَ، وَإِنْ تَكُ كَاذِباً، فَعَلَيْكَ كَذِبُكَ مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَّنَ عَائِذَنَا، وَلَيْسَ بِخَائِبٍ لاَئِذُنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَقُولُ هذَا الْبَعِيرُ؟ فَقَالَ: هذَا بَعِيرٌ قَدْ هَمَّ أَهْلُهُ بِنَحْرِهِ وَأَكْلِ لَحْمِهِ فَهَرَبَ مِنْهُمْ وَاسْتَغَاثَ بِنَبِيِّكُمْ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كذلِكَ إِذْ أَقْبَلَ أَصْحَابُهُ يَتَعَادَوْنَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمُ الْبَعِيرُ عَادَ إِلَى هَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ فَلاذَ بِهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هذَا بَعِيرُنَا هَرَبَ مُنْذُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَلَمْ نَلْقَهُ

٦٣ رواه البخاري في "الأدب المفرد" وابن حبان والحاكم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: { قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها، قال ﷺ: لا خير فيها، هي من أهل النار، قال: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار (من الأقط) ولا تؤذي أحداً، فقال ﷺ: هي من أهل الجنة}.

إلاَّ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَشْكُو إِلَيَّ، فَبِئْسَتِ الشِّكَايَةُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ إِنَّهُ رُبِّيَ فِي أَمْنِكُمْ أَحْوَالاً، وَكُنْتُمْ تَحْمِلُونَ عَلَيْهِ فِي الصَّيْفِ إِلَى مَوْضِعِ الْكَلإِ، فَإِذَا كَانَ الشِّتَاءُ رَحَلْتُمْ إِلَى مَوْضِعِ الدِّفَاءِ، فَلَمَّا كَبِرَ اسْتَفْحَلْتُمُوهُ، فَرَزَقَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ إِبِلاً سَائِمَةً، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ هذِهِ السَّنَةُ الْخَصْبَةُ هَمَمْتُمْ بِنَحْرِهِ، وَأَكْلِ لَحْمِهِ، فَقَالُوا: قَدْ وَاللَّهِ كَانَ ذلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: مَا هذَا جَزَاءُ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ مِنْ مَوَالِيه، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا لاَ نَبِيعُهُ وَلاَ نَنْحَرُهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: كَذَبْتُمْ قَدِ اسْتَغَاثَ بِكُمْ فَلَمْ تُغِيثُوهُ، وَأَنَا أَوْلَى بِالرَّحْمَةِ مِنْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ، وَأَسْكَنَهَا فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَاشْتَرَاهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْهُمْ بِمِائَةِ دِرْهِم، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْبَعِيرُ انْطَلِقْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّه تعالى، فَرَغَى عَلَى هَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: آمِينَ، ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ دَعَا فَقَالَ : آمِينَ، ثُمَّ دَعَا الرَّابِعَةَ فَبَكَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا يَقُولُ هذَا الْبَعِيرُ؟ قَالَ: قَالَ: جَزَاكَ اللَّه أَيُّهَا النَّبِيُّ عَنِ الإِسْلاَمِ وَالْقُرْآنِ خَيْرَاً، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُم قَالَ: سَكَّنَ اللَّه رُعْبَ أُمَّتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا سَكَّنْتَ رُعْبِي، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: حَقَنَ اللَّه دِمَاءَ أُمَّتِكَ مِنْ أَعْدَائِهَا كَمَا حَقَنْتَ دَمِي، فَقُلْتُ: آمِينَ،

ثُمَّ قَالَ: لاَ جَعَلَ اللَّه بَأْسَهَا بَيْنَهَا فَبَكَيْتُ، فَإِنَّ هذِهِ الْخِصَالَ سَأَلْتُ رَبِّي فَأَعْطَانِيهَا، وَمَنَعَنِي هذِه } [٦٤]

وجاءه طائر صغير، فقال ﷺ عندما رآها ترفرف عليه بجناحيها:

{ أيكم فجع هذه بولدها؟ وفى رواية أيكم أخذ فرخ هذا؟، فقال أحد أصحابه: أنا، فقال: رده رده رحمة لها } [٦٥]

فرده إلى مكانها فرجعت.

والحكايات في هذا المجال كثيرة ...

فقد كان من فرط رحمته ﷺ يطمع في رحمته – فضلاً عن الجن والإنس – الطير والوحش والجمادات، وكل شيء في ملك الله وملكوته ..

وهكذا يا إخواني الصالحون.

فتشبهوا إذ لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

وعليكم يا إخواني بهدي رسول الله فيما بينه وبين الله ..

اقرءوه وعوه ثم اعملوا به على قدركم ..

واعتذروا لله كما نعتذر جميعا من ضعفنا وتقصيرنا

فإننا لا نستطيع مهما أوتينا من قوة أن نقدم لله ﷻ شيئاً ولو قليلاً جداً من بعض ما أنعم الله ﷻ علينا من نعمه الجميلة ..!

شكراً لله ﷻ على هذه النعم

---

٦٤ رواه الإمام ابن ماجة والإمام الدارمي في سننهم رضي الله عنهم والرواية الواردة رواية ابن ماجة عن تميم الدارى كما وردت بالترغيب والترهيب.

٦٥ رواه الترمذي وابن ماجه عن عامر الرام والحاكم بروايات عدة بألفاظ حمرة وبيضها وولدها وغيره.

لكن كما كان أصحاب النبي وكما أثنى عليهم الله:

﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِٱلأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١٧، ١٨الذاريات]

مِمَّ يستغفرون؟

يستغفرون من التقصير الذي رأوه في عباداتهم لله، وفي طاعتهم لله ﷻ!

وهذا حال الصالحين!!!

فتجدهم جميعاً مهما بلغ أحدهم من رقي، ومن علو ومن صفاء ...

في نهاية ذلك كلِّه يقولون – كما قال الإمام البوصيري ﷺ:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم

يرون أنفسهم مقصرين!!

ويرون أنفسهم لم يقدموا لله ﷻ قليلاً ولا كثيراً إذا حاسبهم بعدله، وإذا وزن أعمالهم بميزان الإخلاص، وإذا حاسبهم على نعمه !!

لكنه إذا تفضل وعاملهم بفضله فإنَّ القليل يكون عنده كثير!!

فلا يغترون!! ولا بأنفسهم يعجبون!!

ولا يتيهون فخرًا ولا دلالاً على غيرهم بعباداتهم وبصالحاتهم ...

وإنما يرون أنفسهم دائماً مقصرين!

لأنهم كما قلت يا إخواني ....

يتشبهون بصفات النَّبِيّ صلوات الله وسلامه عليه:

﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾ [٦١الصافات]

وعلى هذا النهج سار الصالحون.

ولذلك أحببنا الصالحين ...

حتى نرى كيفية تطبيقهم لأحوال وأخلاق سيد الأولين والآخرين ﷺ!

والكرامات التي تصحب أهل الصلاح والتقوى في كل وقت وحين هي :

- صبرهم على إيذاء الخلق..
- وتحمُّلهم لأذاهم!
- وعدم الرد عليهم بمثلهم ..

فليست الكرامة أن تطير في الهواء فإن الطير يطير في الهواء، ولا أن تمشي على الماء فإن السمك يغوص في الماء، ولا أن تمشي في خطوة من المشرق إلى المغرب فإن الجِنَّ يصنع ذلك ..

ولكن الكرامة أن تغيِّر خُلُقاً سيئاً فيك بخلق حسن.

تلك كرامة الصالحين، والتي قالوا فيها:

(الاستقامة خيرٌ من ألف كرامة).

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الاستقامة ...

وأن يُشْرِقَ على قلوبنا بأنوار الحبيب المصطفى ...

وأن يجعله نوراً لنا في قلوبنا، وأنيساً لنا في قبورنا، ومثبِّتاً لنا عند سؤالنا، وشفيعاً لنا عند حشرنا، وأن يجعلنا من رفقائه في جنات النعيم، وأن يكرمنا بحسن متابعته، وأن يتفضل علينا بأحواله العالية، وأخلاقه الراقية، ومنازلاته السامية.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل السابع

الحقيقة المحمدية

صورته الظاهرة وأسراره الباطنة

مراتب صوته ﷺ

عين القلب

الفصل السابع

الحقيقة المحمدية[٦٦]

الحمد لله رب العالمين ..

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .. والذي جعله الله سراجاً لقلوبنا، ونوراً لأبصارنا، وضياءً لأرواحنا، وشفيعاً لنا يوم الدين عند ربِّنا ..

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه صلاة ترفع بها الحجب التي بيننا وبينه، حتى ينكشف لنا جمال حقيقته، وبهاء طلعته، ونصير من المتمتعين بجمال قربه ومودته، نحن وإخواننا أين كانوا وكيف كانوا، آمين يا ربَّ العالمين. أما بعد ...

فيا إخواني ويا أحبابي: بارك الله عزَّ وجلَّ فيكم أجمعين .

في الحقيقة لمَّا نحتفي بسيدنا رسول الله صلى الله عليه سلم، فنحن نحتفي بأرواحنا وقلوبنا والحياة الإيمانية التي مَنَّ بها علينا الله ﷻ ...

فنحن جميعاً بنا حياة إيمانية!

وهذه الحياة فَضْلٌ تفضَّل علينا به الله ﷻ.

ما الذي بعث هذه الحياة في نفوسنا؟

وما الذي نشرها في قلوبنا؟

وما الذي جعل لواعج الشوق والغرام لطاعة الله وعبادة الله وفعل الخير الذي أمر به الله تنبعث في نفوسنا؟!

---

٦٦ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٥ من ربيع الأول ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٧/٩م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف

سِرُّ هذا وسببُه هو قول الله ﷻ:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [١٦٤آل عمران].

إذا نحن مِنْ غير نور الحكمة ونور البيان، ونور الإيمان، ونور القرآن – والسبب فيها جميعاً نُورُ النَّبِيّ العدنان ﷺ – نكون كما قال القائل:

وَمِنْ قَبْلُ كُنَّا ظَلاماً وَجَهْلاً فَصِرْنَا بِطَهَ رِجَالاً فُحُولا

وحقيقة هذا البيان لن تظهر إلا يوم لقاء الرحمن عزَّ وجلَّ عيانًا!!

فكثير من الناس يعتقدون في الدنيا أن الرجل بطوله وعرضه، وماله وحسبه ونسبه!! وهذه صورة باهته يراها كلُّ الناس!!

فالمسلم وغير المسلم يرى هذه الصورة!!!

لكن الإنسان الذي بلغ مقام الرجال عند الله ليس بمظهره ولكن بجوهره!

فالَّذين رأوا الصورة البشرية حجبوا عن الحقيقة المحمدية!!

ولذلك ربُّنا يحكي عنهم لَمَّا أَخْبَرَهُمْ رسولُنا صلوات الله وسلامه عليه بما جاء به من عند الله من الهداية، ماذا قالوا؟

﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [٢٤القمر]

واحداً مثلنا نتبعه ونمشي وراءه؟!! ماذا تريدون؟ نريد رجلاً معه هيبة أو مال، أو معه جاه أو منصب. هذه النظرة القاصرة التي نظرها الكافرون.

والكافرون الَّذين في زماننا كالكافرين الَّذين كانوا في زمنه صلوات الله وسلامه عليه، ينظرون نفس النظرة ويكررون قولهم:

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [٧:الفرقان]

أي هذا النَّبِيُّ بَشَرٌ مثلنا، يأكل مثلنا ... ويشرب مثلنا ... ويذهب إلى السوق ويبيع ويشتري مثلنا !!!

وهذا هو الحجاب الذي حجب الكافرين عن نور رسول الله!!

ولذلك قال الله ﷻ ناعياً عليهم هذه النظرة القاصرة:

﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [١٩٨:الأعراف]

فلم يروا المعنى والكمال الذي هو به نبيٌّ للواحد المتعال عزَّ وجلَّ!!! ولذلك عندما مَدَحَهُ ربُّنا، بماذا مدحه؟

صورته الظاهرة وأسراره الباطنة

سيدنا رسول الله ﷺ ... كان ولا يزال ... له من الصور الظاهرة والباطنة ما لا عدَّ له ولا حصر له ....

لكنه مُجْملاً فيه صورة ظاهرة يراها الكُلُّ ...

- البعض يراها على الهيئة الآدمية!
- والبعض يراها منبلجاً فيها الحقيقة المحمدية!!
- والبعض يرى إنسانًا عادياً ..... يأكل الطعام ... ويمشي في الأسواق ويروح ... ويجيء!!
- ، وهو ﷺ الذي جنَّن الكُلَّ!! لأنه كما قال ﷺ:

{ أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم }[٦٧].

فمع الكافرين والجاحدين والمبعدين يستر المعاني الروحانية والأنوار الربانية، ويكتفي ببيان الإنذار لهؤلاء الكفار، لماذا؟ من أجل أن يقيم عليهم الحجة، لكن أصحابه ﷺ كانوا يرونه في هيئة أخرى!! والكلام هو الكلام، لكن الفارق بين من يرى بعين البصيرة ومن يرى بعين البصر، فمن رأى بعين البصر يقول:

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [٢٥المدثر]

والذي رأى بعين البصيرة يقول:

{ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ خَرَجَ النُّورُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ }[٦٨]

ماذا يرى هذا؟

وماذا يرى ذلك؟!!

وهو ﷺ عندما كان يتكلم معهم لم يكن جهوري الصوت ..

ولكن كان صوته مثل خلقته .. مثل هيئته ... مثل بعثته ...، مثل ديانته ...، مثل كمال حالاته، هو النموذج الأفضل في جميع الأوصاف والكمالات!!

فلا يوجد صورة في الأولين والآخرين أجمل ولا أكمل من صورته صلوات الله وسلامه عليه، في التقاطيع والملامح والبهجة.

والله ﷻ اختار له الوسطية في كل شيء، فليس صوته مرتفعاً جداً ولا منخفضاً جداً، ولكنه وسط، وكذلك جسمه ليس طويلاً ولا قصيراً ولكنه مربوع، أما لونه فلا هو أسمر ولا هو أبيض شديد البياض، بل بياضه كان مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ.

---

٦٧ رواه البخاري في صحيحه عن عليٍّ ﷺموقوفاً، ومسند الحسن بن سفيان، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
٦٨ الدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهكذا قس على ذلك في جميع الأمور، فقد أعطاه الله أكمل الأوصاف، وأكمل التصويرات حتى الظاهرة، حتى قال فيه سيدنا حسان بن ثابت ﷺ:

وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَكْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدُ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

يعني إن شئت قل:

لو اجتمعت حكمة الحكماء، وعقل العقلاء، وذكاء العلماء والأطباء، وغيرهم من ذوي الشأن، أن يصنعوا صورة ظاهرية تكون أكمل صورة من بني الإنسان من بدء البدء إلى نهاية النهايات، فهي صورة نبّيكم صلوات الله وسلامه عليه!!!

لكن هذا الجمال وهذا الكمال لا يطلع عليه إلا من أراد الله ﷻ به الوصال بنبّينا صلوات الله وسلامه عليه.

فالكلُّ يرى الظاهر ...

والعبرة من الظاهر والعبرة من هذه المعاني الباطنة التي منحها الله عزَّ وجلَّ له هي المقصد الذي كان يهتم به العارفون ...

فالمداحون كانوا يهتمون بالأوصاف الظاهرة، فيقولون عن حضرته: أنه كحيل العينين، أحمر الخدين، لكن ما لنا نحن وما لهذا الكلام:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [٤٥الأحزاب]

أما العارفون فيرون شاهداً صورة، ومبشراً صورة، ونذيراً صورة أخرى:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [٤٦، ٤٧:الأحزاب]

وهذه صورة ثانية اسمها: "داعيًا إلى الله بإذنه"!

وصورة ثانية اسمها: "وسراجاً منيراً"!!

هذا هو الشاهد الذي يتعبد به هؤلاء الَّذين يواجهون الشاشة المحمدية!!

فالأعمى عندما يقف أمام التليفزيون ماذا يرى؟ لا يرى أي شيء، فالشاشة تعمل أمامه ولكنه لا يرى شيئاً لأن الله هو الذي قال:

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [١٩٨:الأعراف]

لأن عين البصيرة عمياء لا ترى إلا الصورة الظاهرة، لكن المؤمن يرى النور الخارج من بين ثناياه!! وهل المرء عندما يتكلم نجد هذا الكلام له نور؟!! نعم، سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ يقول: (كل كلام يخرج وعليه كسوة من نور القلب الذي خرج منه).

فليست العبرة للذي يسمع كالعبرة في الذي يرى نُورَ هذا الكلام، فهم وصلوا إلى درجة من الشفافية جعلتهم يرون نور كلامه عند حديثه صلوات الله وسلامه عليه. أي: أنهم لا يتمتعون من حضرته بالسماع فقط، ولكنهم يسمعون ويرون نُورَ كلامه صلوات الله وسلامه عليه.

مَرَاتِبُ صَوْتِهِ ﷺ

وهناك فارق آخر:

هو أن الكلام الذي يتكلمه ﷺ مع الكافرين كان لإقامة الحُجَجِ والبراهين، وكله بالقرآن، من أجل أن ينتهوا عن عبادة الأصنام ويعبدوا الله ﷻ!

لكن عندما وصل مع أصحابه إلى مراتب الرُّقِي لم يحتاج إلى أنهم يرونه، ولذلك كان ﷺ إذا تحدَّث تسمعه العذارى في خدورهن – يعني: البنات العذارى اللاتي لم تتزوج تسمع حديث رسول الله وهي جالسة في بيتها!!

كيف يصل صوته إليهم مع أنهن في البيوت داخل المدينة وهو في المسجد؟!

وروى فى الحديث الشريف:

{ أن ابن رواحة سمع النبي ﷺ وهو بالطريق يقول: اجلسوا، فجلس في الطريق، فمرّ به النبي ﷺ فقال له: ما شأنك؟ قال: سمعتك تقول: اجلسوا ، فجلست، فقال له النبي ﷺ: زادك الله طاعة }[٦٩]

وروى أنه كان سائرا بالطريق فجلس فى بنى غنم و لما خرج الناس رأوه جالساً، فقالوا له: لماذا أنت جالس ها هنا؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اجلسوا فجلست، ولم أسمعه يقول قوموا ..!!

انظروا كيف سمع الصوت من مسافة بعيدة قرابة ٢ كيلو متر تقريباً؟!!

وكذلك في خطبة الوداع:

كان معه مائة ألف ينتشرون في كل أرجاء منى، ومسافة منى تزيد عن ٥ كيلو متر تقريباً، منهم من كان ساكناً على أعلى الجبل – وكان من طبيعة العرب أن يبتعدوا عن بعضهم في السكن – وموزعين في منى كلِّها.

قال سيدنا عبد الرحمن بن معاذ التميمي ﷺ:

{ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنَى فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنا }[٧٠]

---

٦٩ مصنف عبد الرزاق الصنعاني عن معمر ابن أيوب، وفيه أيضا عن عطاء قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذ قال: اجلسوا، فسمعه ابن مسعود، فجلس بباب المسجد في جوف المسجد، فقال له النبي ﷺ: تعال يا عبد الله

٧٠ أخرجه أحمد وابوداوود والنسائى عن عبد الرحمن بن معاذ التميمي.

فكان كل واحد منهم في مكانه وقد وصلهم صَوتُ رسول الله ﷺ مع أنه لم تكن توجد أجهزة توصل الصوت لمسافة ٥ كيلو متر في هذا الوقت ..!!

والإعجاز لأهل التسليم من المؤمنين والمؤمنات هو الذي جعلهم يستمعون إلى الأصوات ﷺ وأرضاهم.

إذاً الحالات التي رأوها في هذا الصوت هل رآها الكافرون؟

لا ... !!!بل إن الكافرين أكثر من ذلك:

{ اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بنُ هشام فقال، وهم على بابه: إن محمداً يزعمُ أنكم إنْ تابعتموهُ على أمرهِ كنتم ملوكَ العرب والعجم، ثم بُعثتُم من بعد مَوتكم، فجُعلتْ لكم جنانٌ كجنانِ الأُردنِ، وإنْ لم تفعلوا كان لكمْ فيه ذَبحٌ، ثم بُعثتم من بعدِ مَوتكمُ، فجعلتْ لكم نارٌ تُحرقون فيها. قال: وخرج عليهم رسولُ الله ﷺ، فأخذَ حفنةً من ترابٍ في يدهِ ثم قال: نعم ، أنا أقولُ ذلك، أنت أحدُهم. وأخذ اللَّهُ تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونَه. فجعل ينثو ذلك الترابَ على رؤوسهم، وهو يَتلو هؤلاءِ الآياتِ من يس: {يس - وَالْقُرْءانِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} إلى قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَـهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ .....} حتى فرغِ رسولُ الله ﷺ من هؤلاء الآياتِ، ولم يبقَ منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تُراباً، ثم انصرفَ إلى حيث أرادَ. فأتاهُم آتٍ ممَّن لم يكن معهم، فقال:

ما تَنْتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدٌ. قال: خَيَّبكم اللَّهُ، قد واللَّهِ خرجَ عليكُم محمدٌ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تُراباً، وانطلقَ لحاجتِه. أفما تَرونَ ما بِكمْ؟ قال: فوضعَ كلُّ رجلٍ منهم يَدهُ على رأسه، فإذا عليه تُراب.} [٧١]

أخذ حفنة من التراب ووضعها على رؤوسهم، واحداً واحداً – وهم في تمام اليقظة، وفي أشد الصحو – ولا يحسون به، وهو يقرأ: ﴿ يسٓ . وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ وبصوت عال وليس في سرّه وهم لا يسمعونه. كيف يسمعون كلام بعضهم ولم يسمعوا كلام سيد الأولين والآخرين ﷺ؟!!

وأقول ذلك للذين لم يأخذوا بالهم ويقولون عنه: أنه بَشَرٌ مِثْلَنَا:

فحتى في صورته البشرية ﷺ كان فيها درجات من النقاء والصفاء لا تظهر إلا لأهل الكشف والاصطفاء ...

أما أهل البُعْدِ والجَفَاء فلا يرون منه ﷺ إلا ما يراه نظرهم القاصر، ويطلع عليه عقلهم الكاسد.

فله صورة ظاهرية نحن جميعاً محتاجون أن نتمعن فيها، مثلما قلنا الآن في أوصافه الظاهرية، لأنه عندما تَمَعَّنَ الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه في ذلك قال:

حُبِّي لِمَبْنَاكَ هَيَّمَنِي وَأَرَّقَنِي فَكَيْفَ إِذَا مَا أَشْرَقَ المَعْنَى

فعندما يتمعن المرء ليميل إلى هذه الصورة الإلهية، ونحن مأمورون من الله عزَّ وجلَّ أن لا يكون شيء أغلى ولا أعزَّ ولا أرقى ولا أحبَّ إلينا من ذاته صلوات الله وسلامه عليه ... كيف نحبه؟

---

٧١ الجوهرة فى نسب الرسول والسيرة الحلبية.

عندما نعرف فيه هذه الكمالات ..!!ونَتَمَعَّنُ في شيءٍ من هذه الأوصاف الفاضلات ... فالكمال لرسل الله وأنبياء الله ..!

وكمالُ الكمال لسيدنا ومولانا حبيب الله صفيّ الله ﷺ.

فعندما نرى أوصاف الأنبياء نرى ذرة من كماله، لكن كماله هو فريد ليس له مثيل، وإليه الإشارة في محكم التنزيل:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [٦:الضحى]

فنقول: هذه درَّة يتيمة: .. يعني: ليس لها مثيل ولا نظير !!

وهو ﷺ يتيماً، .... أي: فريداً في جماله ... وكماله ... ونعوته ... وصفاته صلوات الله وسلامه عليه.

هذه الأوصاف هي التي جذبت أصحاب رسول الله ﷺ، وهي التي جعلتهم يَلْتَفُّونَ حوله ولا يودون أن يفارقونه صلوات الله وسلامه عليه طرفة عين ولا أقل!!

ونحن مطالبون بأن نعرف ولو لمحة من هذه الصورة، حتى على الأقل عندما نأتي هناك في يوم الدين كيف نعرفه؟ لابد أن نكون رأينا ولو لمحة من معناه، أو وميضاً من نور مبناه صلوات الله وسلامه عليه. صحيح أنه هناك يكون نُورُهُ واضحاً، ولكن لمن؟

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [٤٠:النور]

لأن الَّذين رأوا هذا النُّورَ من الأول لا يبحثون عنه مرة أخرى ..

فلا يذهبون إلى آدم يطلبون منه أن ينقذهم من أهوال الموقف الذي نحن فيه، أو يذهبون إلى نوح، أو يذهبون إلى إبراهيم، أو يذهبون لعيسى ولموسى، بل يقولون مثلما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

أَهَذَا الأصْـــــلُ يَا وَيْحِي فَمَا لِي كُنْتُ سَـــــوَّاحا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على الأصل الذي تفرعت منه جميع الأصول ...

وليس جميع الفروع .. لأنه أصل الأصول، والفروع! فروع لأصوله صلوات الله وسلامه عليه.

والأصول: الأنبياء والرسل السابقون.

والورثة وكمَّل الأولياء اللاحقين، هذه هي الأصول التي تفرَّعتْ عن أصل الأصول ﷺ.

فالذي يخرج من الدنيا – يا إخواني – ولم يمتِّع عين بصيرته وعين سريرته بنور حبيب الله، وجميل طلعة صفيِّ الله، ماذا رأى في هذه الدنيا؟!!

ولو كان لفَّ الوجود كلَّه، ماذا رأى؟! زهرة الحياة الدنيا!!

لكن لابد لكل فرد أن يحاول – ونحن في أيام الفضل – قدر الاستطاعة أن لا يخرج من الدنيا إلاَّ بعد أن يرى لمحة، أو شعاعاً، أو إشعاعاً، أو قبساً من نور سيِّدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وهذا النور ليس من شرطه الحضور حول جسده الشريف ﷺ:

لأنه كان هناك أناس حول رسول الله ولم يروه!

وأويس القرني كان في اليمن ورآه وتمتَّع به، وتملى به!

لماذا؟ لأنه عَشِقَ الجمالات والكمالات ...

فجاهد لإصلاح جهاز الاستقبال الروحاني في القلب ..

فما زال يصفِّيه وينقِّيه ويرقِّيه ..

إلى أن أشرق نُورُ الحبيب ﷺ بذاته له فيه:

فَذَاتُكَ النُّورُ نَالَتْ مِنْ لَطَافَتِهَا مَا دُونَهُ وَقَفَتْ ذَاتُ المَلائِكَةِ

عين القلب

إذا يا إخواني فالصورة المحمدية عندما نطالعها، ونتمعَّن في كمالاتها الوهبيَّة الإلهيَّة التي أعطاها له الله ﷻ ..

نجد أن عينه في الوصف العادي لها مثل عين الرأس لجميع الناس!

ولكن هل عين الرأس تستطيع أن ترى بها من هو خلفك؟

وكيف تراه؟!!

فكان ﷺ يقف في الصلاة، وبعد الصلاة يُحَدِّثُ أصحابه بما رآه منهم في الصلاة، فيقولون: يا رسول الله، كيف ترانا ونحن خلفك؟ فيقول ﷺ:

{ إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لاَ أَرَاكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ } [٧٢]

وكان في المدينة والجيش في تبوك ...

وهو جالس في مسجده الشريف وأصحابه بين يديه ويخبرهم ... أمسك بالراية الآن زيد بن حارثة قطعت ذراعه اليمنى فأمسكها بذراعه اليسرى، .. قتل زيد بن حارثة ... وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب .. قطعت ذراعه اليمنى فأخذها باليسرى، قطعت ذراعه اليسرى فأمسكها بعضديه، .. أرى جعفر يطير في الجنة بجناحيه .. وأخذ الراية عبد الله بن رواحة ..

ممكن يقول أهل العقول هو يعرف ذلك لأنه قال لهم القائد زيد بن حارثة!

---

٧٢ رواه ابن خزيمه فى صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: { صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَى رَجُلاً كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ: يَا فُلاَنُ؛ أَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ. أَلاَ تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي؟ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ (الحديث)}.الترغيب والترهيب، وفى رواية مسلم والنسائى { إِنِّي لأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كما .(الحديث) }.

فإن استشهد فجعفر بن أبي طالب، فإن استشهد فعبد الله بن رواحة، فإن استشهد فتخيَّروا رجلاً منكم، من هذا الرجل؟؟؟ قال: أمسك الراية :

{ خالد بن الوليد سيف من سيوف الله ﷻ} [٧٣]

وكان يصف المعركة وهو جالس في مكانه.

أين القدرات الموجودة في العين الحسيَّة التي ترى هذه المسافات؟

وكل ما ذكرناه يتنزل منه ﷺ إلى ورثته فضلاً من الله ﷻ ..

والذي حدث معه حدث مع عمر بن الخطاب، أليس كذلك؟

وهو على المنبر ومشاهد للمعركة، كيف شاهدها؟ وكيف سمع نداءه؟

هي وراثة رسول الله ﷺ التي يحظى بها الصالحون من عباد الله !

ونحن نحبُّهم لأننا نرى فيهم بعض هذه المعاني النورانية التي من أجلها أقبل أصحاب رسول الله ﷺ عليه ...

فقد أقبلوا عليه من أجل الصورة النورانية الموجودة فيه ..

---

٧٣ روى الواقدى فى عمدة القارىء: {عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، قال: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول اللهﷺ على المنبر، وكشف له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معركتهم }، وفيه أيضا عن الزهرى:{ ولما دناالعدو انحاز المسلمون، إلى قرية يقال لها: مؤتة، فتلاقوا عندها فاقتتلوا، فقتل زيد بن حارثة، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى قتل. قال ابن هشام: إن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذها بشماله فقطعت، فاحتضنها بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ..، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، ﷺ، قال الواقدي: لما أخذ خالد الراية قال رسول الله، ﷺ: الآن حمى الوطيس، فهزم الله العدو وظهر المسلمون، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة}. وروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ ﷺ: {أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: {أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ }. وفى رواية النسائى الكبرى عن أبى قتادة الأنصارى: { إن رسول الله صعد المنبر، وأمر أن ينادَى: الصلاة جامعة، فقال رسول الله: ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فأصيب زيد شهيداً استغفروا له، فاستغفر له الناس، ثم أخذ الراية جعفر بن طالب فشدَّ على القوم حتى قُتل شهيداً، أشهدُ له بالشهادة فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبتَ قدمَيْه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو امَّر نفسه، ثم رفع رسول الله أصبعيه ثم قال: اللّهم إنه سيف من سيوفك فانتصر به }.

ونحن لماذا نقبل على الصالحين؟

من أجل الآثار المعنوية التي ورثوها من الحضرة المحمدية ... فنرى فيهم آثار رسول الله الروحانية.

قد نرى بعض الناس يطوف الكون من أجل أن يرى شعرة لرسول الله في مسجد في أفغانستان يسمونه مسجد الشعرة، أو ليرى البردة ..

لكننا نريد أن نرى الكشف الذي اختص به رسول الله!!

والنور الذي تفضل به عليه الله!!

والفضل الذي مَنَّ به عليه مولاه!!

وهذا لا يوجد إلا في صور الصالحين القائمين بكيانهم في الدنيا ؟؟ ومعهم تصريح من رسول الله ﷺ بأن يعرضوا آثاره الروحانية، وجمالاته الربانية، ليجذبوا بها أهل الخصوصية للكمالات الربانية التي جمَّل بها الله حبيبه ومصطفاه ﷺ.

فهذا سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه :

يقف في الصلاة – ويصلي بالناس إماماً – وبعدما ينتهي من الصلاة يحدِّث من خلفه بما فعلوه في الصلاة:

نُورُ الوِرَاثَةِ لاحَ للأَبْصارِ وَضِيَا النِّبُوَةِ لاحَ للأَخْيَارِ
عِلْمٌ وَحَالٌ حُجَّةٌ نَبَوِيَّةٌ كَشْفٌ صَحِيحٌ بِمُحْكَمِ الآثَارِ

إذن العبرة بالجمالات النورانية التي ظهرت في الحقيقة المحمدية .... وهي التي التف حولها الناس ...

فنحن نقول في الصلاة: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، وإلقاء السلام سُنَّة، وردُّ السلام فرض!

ومن يستطيع أن يرد على العالم أجمع في وقت واحد إلاَّ الذي يرى بِنُورِ ربِّه ومعه

خصوصية:

{ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به }[٧٤].

الذي أريد أن أقوله لإخواني:

أنك لا تقف عند حدود الملامح الظاهرية!!

ولكن انظر بما فيك من نور الله إلى ما فيه من جمال الله، ولما فيك من معاني روحانية جمَّل الله بها قلبك. وكلنا فينا هذا الجمال:

﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [١٠:الحجرات]

كلنا فينا زينة الإيمان ولم ننكشف عليها ..

لأنه لو رأى رجلٌ منا زينة واحدة ممَّا فيه – ممَّا جمَّله به الرحمن ﷻ – لترك الدنيا بما فيها، وَرَنَّ في أذنه قول الحبيب ﷺ:

{ والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله }[٧٥]

أي سوف تتركون الدنيا بما فيها وتمشون تقولون: الله .. الله .. الله، إلى أن تلقوا الله ﷻ بعد نهاية العمر المقدَّر لكم في هذه الحياة !!!

---

٧٤ البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

٧٥ روى الترمذي عن أبي ذر ﷺ بلفظ: (أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله. والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله).

لكن كل رجل منا فيه من جمال الرحمن ما لا يستطيع أن يبينه بيان:

﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾

من الذي رأى هذه الزينة ؟

سوف نراها إن شاء الله كلُّنا هناك، والذي يراها هناك لا يغتر، ولكن هنا لو رأى لمحة منها ممكن يغتر ويضيع نفسه، وينسى المسئوليات التي كلفه الله ﷻ بها في هذه الحياة، ونحن اختارنا ربُّنا الأمة الوسط:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [١٤٣:البقرة]

فكانت لنا الخصوصية أن جعلنا الله على الهيئة المحمدية.

وأنواره ﷺ لا يطيق رؤيتها فضلاً عن وصفها الواصفون، لكن الله أخفاها فلا يطلع عليها إلاَّ كُمَّلُ الواصلين.

وكذلك أنوار الإيمان التي زيَّنها الله في قلوبكم لا يطلع عليها إلا من أطلعه الله ﷻ على سرائركم وأفئدتكم رحمة من الله ﷻ بنا جميعاً ...

انظر إلى رسول الله بنور الإيمان الذي في فؤادك، ترى كمال الله وبهاء الله ظاهراً في حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يَمُنَّ علينا بالإيمان، ويتفضل علينا بجمال وجهه وجميل محياه، وأن يكرمنا به في الدنيا وأن يطلعنا على الكمال الذي حباه به مولاه، وأن ينعم علينا بوصاله وأفضاله وجوده وكرمه، حتى نصير نوراً في أنفسنا، ونوراً لأهلينا، ونوراً لإخواننا، ونورا لذوينا، ونوراً للخلق أجمعين.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثامن

خصائص رسول الله ﷺ

النعمة العظمى

مواهب العارفين

طريق الفتح

كمال أخلاقه

كنز فضل الله

الفصل الثامن

خصائص رسول الله ﷺ[٧٦]

الحمد لله الذي أنار قلوبنا في البدء بنور حضرة الله ..

وزاد في أنوارنا بعد إشراق شمس الحقِّ المشرقة بنور هداه، وزادنا أنساً وصفاءً وقرباً بعد اتصال قلوبنا بنور حبيب الله ومصطفاه ..

ونسأله ﷻ أن يزيد وصلنا، ويقوِّي بواعث الشوق ولواعج الغرام في أفئدتنا، حتى نكون معه ﷺ بقلوبنا أينما توجهنا، وكيفما كنا، وعلى أي حال صرنا، نحن وإخواننا أجمعين.

والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد بن عَبْدِ الله، سرّ سعادتنا، وباب هدايتنا، وكنز علومنا وأسرارنا، وبهجة قلوبنا وأرواحنا، ﷺ وعلى آله وصحبه، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين آمين.

أما بعد ... فيا إخواني ويا أحبابي: بارك الله فيكم أجمعين

في الحقيقة الفتاح يفتح كنوزه، ويأخذ منها أرزاقكم ويوزعها عليكم، وأنا لست إلا خادماً في الحضرة، أوصل الأمانات من السدرة إلى قلوب أهل التوجهات، فأما الأرزاق فهي من كنوز الرزاق، وأما التوفيق فهو من الموفق ﷻ على التحقيق، ونحن كما يقول القائل:

---

٧٦ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١١ من ربيع الأول ١٤٢٠ هـ الموافق ١٩٩٩/٦/٢٥م بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة في ذكرى المولد النبوي الشريف.

أَنَــا قَلَــمٌ وَالاقْتِــدَارُ أَصَــابِعُ أَنَــا آلَــةٌ واللهُ جَـلَّ الفَاعِـلُ

وأريد أن أبين لنفسي ولإخواني – من كنوز كتاب الله – بعض ما خصَّ به الله سيدنا رسول الله ﷺ ...

فإن كتاب الله لم يترك خُلُقاً كريماً، أو حالاً عظيماً، إلاَّ وخلعه على هذا الرءوف الرحيم ﷺ ..

لماذا مدحه الله؟

حتى يحبَّه ويُقْبِلَ عليه ﷺ خَلْقُ الله، لأنه محبوب العناية، وكنز أهل الولاية..

وقد حفَّته القدرة الإلهية بأمواج الرعاية والولاية!

فكل من اندرج في أنواره حصل على قبس من أسراره، وحفته العناية برقيق من عليِّ مقداره، يرى بعينٍ في الفؤاد ما خصَّه به المولى ﷻ من أنوار القُرْبِ والوداد.

فالله ﷻ يطلب منا أن نُحِبَّ حضرة النبيِّ، فوصفه لنا وبيَّنه لنا..

ولم يصفه الله ﷻ في القرآن بالأوصاف الحسية:

ولكن وصفه بالكمالات المعنوية، والفضائل الروحانية، لأن عشق البشرية عشق شهواني لا يليق بسيِّد البريّة صلوات الله وسلامه عليه ..

ومن أجل ذلك عندما نسمع المداحين الَّذين يمدحونه ويقولون: يا كحيل العين، يا أسيل الخدين، فليس لنا شأن بهذا الكلام، لأنا نريد: يا مطلوب العين، يا ناظراً بالعينين، يا جامعاً بين الشريعة والحقيقة.

فالأوصاف المعنوية هي التي تقبل عليها النفوس الطاهرة النقية الذكية، وهي التي ملأ بها الله الآيات القرآنية، والتي يذكرنا بها ويقول لنا في شأنها:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٦٤آل عمران].

ربُّنا مَنَّ على المؤمنين ..

ولا يوجد شيء أبداً مِنْ نِعَمِ الله – الظاهرة والباطنة في كتاب الله – منَّ الله بها على المؤمنين، إلاَّ نعمة الإسلام والإيمان ونعمة النبي العدنان ﷺ:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [١٧:الحجرات]

والحظْ بسرِّك أسرار هذه الآية، فإن الله ﷻ لم يقل: بل الله مَنَّ عليكم، بل قال: (يَمُنُّ) بصيغة المضارع، لأن الإيمان هنا في الدنيا، لكن (مَنَّ) عليكم مِنْ قبل بِمَنْ؟ بسبب الإيمان، ورسول الهداية الذي أرسله الديان، سيِّد ولد عدنان ﷺ:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [١٦٤:آل عمران].

النعمة العظمى

إذن كل الذي نحن فيه من نور الهداية، ومن العناية، ومن زكاء النفس، ومن صفاء السرِّ، ومن طهارة القلب، ومن منازل الأنس، ومن مقاعد الصدق، كل هذا سببُهُ المنَّة العظمى والرحمة الكبرى لجميع المؤمنين، سيِّدنا رسول الله ﷺ. ولذلك فأهل الأدب في هذا المقام من كُمَّلْ الصالحين ،وأهل الكمال من الموحدين والعلماء العاملين، كلُّ فضل، وكلُّ مدد، وكلُّ فتح، وكلُّ رضوان، وكلُّ هناء وسرور عمَّهم من الله، يعترفون في كل آناتهم بأن سببَهُ سيدنا رسول الله ﷺ. ومولانا الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه عبَّر عن هذه الحقيقة فقال:

وَمِنْ قَبْلُ كُنَّا ظَلاماً وَجَهْلاً فَصِرْنَا بِطَهَ رِجَالاً فُحُولاً

والآية التي تقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ﴾ عَيْنُ أهل العناية عليها باستمرار، حتى لا يحجبوا عن الأنوار في لحظة أو أقل من ليل أو نهار، فينسبون كل فضل لرسول الله، ورسول الله ينسب كلَّ فضل لحضرة الله:

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [١١٣النساء]

ولماذا لا ننسب الفضل لله مباشرة؟ لأنه هو الذي علمنا ﷻ في محديثه القدسي حيث يقول ما معناه:

{ عبدي لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه }[٧٧].

أي لابد لك أن تشكر السبب، فإذا كان سبب الوجود الظاهر الجسماني الفاني جعله في المرتبة بعد توحيده ﷻ وقال لنا:

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [١٤:لقمان]

فطلب منك أن تشكر الوالدين .. لأنهما السبب في وجودك الظاهر!! فما بالك بسبب الهداية والعناية، والتوفيق والصلاح، والنجاح والجنة والأرباح من الكريم الفتاح، سيّدنا رسول الله ﷺ؟!!

إذن لابد لنا أن نعمل بما أشار إليه الإمام البوصيري ﷺ حيث يقول:

وَانْسِبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئتَ مِنْ شَرَفٍ وانْسُبْ إلى قَدْرِه ما شئتَ من عِظَمِ

لأن كل شرف ينالك، وكل فضل أتى لك، فبسببه وبواسطته أفيض من الله ﷻ

---

٧٧ إعانة الطالبين على حل ألفاظ المعين، وكاشفة السجا للنووى الحاوى، و يؤيد ذلك ما رواه البيهقي في شعب الإيمان قال ﷺ: {أخبرني جبريل أنه إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، يقول الله لعبده: عبدي هل شكرت فلاناً على ما كان منه إليك؟ فيقول: لا، يا رب شكرتك لأن النعمة كانت منك قال: فيقول الله: (ما شكرتني إذ لم تشكر من أديت النعمة لك على يديه)}.

عليك – صلوات الله وسلامه عليه – وهذا السِّرُّ هو الذي حفظ لأهل المنازل العالية أحوالهم، لأنهم يرون أنهم لا يوجد معهم شيء، والمَخَازِنُ الظاهرة والباطنة فارغةٌ إلاَّ إذا أمدَّها بمدده، والأَنْوَارُ مَكْسُوفَةٌ إلا إذا أوصلها بنور حضرته، واللسانُ والبيانُ عاجزٌ إلا إذا أنطقها بحكمته:

كُلُّ الذِي أَنَا فِيهِ فَضْلُ مُحَمَّدٍ مِنْهُ بَدا وَإِلَيْهِ كَانَ وُصُولِيَ

وحقيقة ما نحن فيه يشير إليها هذا المثل: فالذي يجلس على البحر ويرمي شبكته، هل ضمن كم كيلو من الأسماك يأتيه؟ وكم من الأنواع والأصناف تجمعها شبكته؟ كذلك العارفون يلقون بشباك قلوبهم – التي صنعوا حبالها بمحبة حبيبهم، ووثَّقوها بمودة إخوانهم – في بحر الجود الإلهي والكمال الربَّاني، وتعود محمَّلة بالأصداف الروحانية، واللآلىء النورانية القرآنية، فيفضونها ويعطونها للمحبين، وهم واثقون وعالمون وموقنون بأنه فضل الله ساقه لعباد الله ﷻ. هل الصياد هو الذي زرع السمك أو غذَّاه أو ربَّاه؟!! كلاَّ، وإنما هو وسيلة جاء به من عند الله لعباد الله. وهكذا يا إخواني أهل معرفة الله في كل زمان ومكان.

مواهب العارفين

فالأرزاق الروحانية من العلوم الوهبية، ومن الأسرار القرآنية، فتحٌ من الله، ورزقٌ من الله لعباد الله، وليس لنا شأن فيه ظاهراً أو باطناً، وإنما هو فضل الله عزَّ وجلَّ، فمن أراد أن يحظى بهذا الفضل، ويحيا في هذا الجود، فليقف دائماً على ساحل بحر سيِّد الوجود، ولا حول له ولا علم معه ولا طول له، وإنما يتبرأ من كل ما حصَّله، وينتظر فضل الله وعطاء الله، فتمطره سحائب الرحمة الإلهية من عين الحضرة المحمدية، بما لا عين رأت في كتاب، أو سمعت من لسان عالم، ولا خطر على قلب بشر، من الإلهامات ومن العلوم الوهبية التي يفيضها المصطفى ﷺ لأهل الخصوصية.

ولذلك فإن سيدي أبا الحسن الشاذلي ﷺ :

لما بحث عن شيخ يوصله إلى حضرة الله، وقطع بلاد المغرب والمشرق من تونس إلى مصر، يبحث عن وَلِيّ الله في الأرض الذي معه النيابة عن حضرة المصطفى ﷺ، فالأولياء كثيرون لكنه يريد الذي معه التوكيل ..

فقالوا: القطب ليس عندنا، فذهب إلى بلاد الشام، ثم ذهب إلى بلاد العراق، فقابل أحد الأفراد هناك – وهو سيدي أبو الفتح الواسطي ﷺ وأرضاه – فقال له: **((جئت تبحث عن القطب عندنا، والقطب عندكم في بلاد المغرب!!))**

قال له: أين؟ قال له: في بلد بالقرب من شاذلة في تونس، فذهب إلى القطب سيدي عبد السلام بن بشيش ﷺ وأرضاه، ولم يكن يوجد حوله صولجان، ولا سكرتارية ولا ديوان، فقد كان مقيماً في الجبل مع الله، لأن القطب لأهل الخصوصية، وأهل الخصوصية يفتحون قلوبهم وألسنتهم وعطاءهم لجميع أهل المعية المحمدية.

فصعد إليه فقال: جئت يا خليفة الزمان!! أنت عليُّ بن عبد الجبار بن كذا بن كذا حتى أوصل نسبه إلى رسول الله ﷺ – دون سابق معرفة – وهذه هي العلامة أو كلمة السرّ التي عرف بها أنه هو القطب الذي اختاره الله، وجعله عيناً لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ في عصره وأوانه.

فكان الشيخ على قمة الجبل، وفي أسفل الجبل عين ماء، فقال: يا عليّ، انزل اغتسل ثم أرقَ إلينا، فنزل فاغتسل بالماء ورجع. فقال له ثانية: يا عليّ، انزل اغتسل ثم ارجع إليّ، فنزل فاغتسل ثانية ورجع. فقال: يا عليّ، انزل فاغتسل ثم ارجع إليَّ، قال: ففهمت أنه يريد أن أغسل قلبي من المعارف والعلوم التي حصلتُها، ليفيض عليَّ من علوم أهل الوراثة المحمدية، فتجرَّدتُ من علمي ومن تحصيلي، وصعدت إليه على لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تَبَرَّأتُ مِنْ عِلْمِي وَكُلَّ جَوَارِحِي أَنَبْتُ إِلَى رَبِّي بِإِخْلاصِ وَاثِقِ

لأن الإنسان الذي معه أجندة ومكتوب فيها؛ هل أحد يستطيع أن يكتب على الكتابة؟ لا، لأن الكتابة الأولى لا تظهر، ولا الكتابة الثانية تقرأ، فلا بد أن نمسح الكتابة من أجل أن يكتب عليها. كذلك الذي يريد العلوم الوهبية من الحضرة المحمدية، لابد أن يمسح بحاله وبهمته وبعزيمته كُلَّ ما حصَّله من أجل أن يكتبوا له:

﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾[٤٩العنكبوت]

آيات بينات واضحات، بشرط أن تكتب في الصدور للقلوب المملوءة بالنور، والتي تطهَّرت من قاذورات العلم المنشور، وإنما تبغي العلم المستور، والعلم المسطور الذي يستطره الحقُّ عزَّ وجلَّ، إن شئت قلت: بأحرف من نور، لأنها ليست أحرف كأحرفنا، وإنما هو تسطير من الله لا يدري كنهه أو حقيقته إلا عبدٌ اصطنعه وأخذه إلى حضرته الله ﷻ.

لكن الذي يذهب إلى الله ومعه كتابين حصلهم، ومسألتين حفظهم، فهو كالكوب الذي مليء وجئت لي أصب لك فيه، فماذا أصب فيها؟!!! لابد أن تفرغها أولاً لأصب لك فيه. هل يجوز أن نملأ الكوب وهو مليء؟!! فلابد أن تطهر الإناء الذي تقول فيه آيات كتاب الله وفيها الشفاء:

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ [٦الإنسان]

لم يقل يشربوا فيها أو منها، ولكنه قال: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا﴾، وهذه هي التي تشرب بها شراب الوصل، وشراب الفهم، وشراب العلم، وشراب الأنوار، وشراب التجليات، وشراب الأنس، وشراب النفحات!!! وأين تصب؟

﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [٨٩:الشعراء]

فلم يقل إلا بعلم عظيم، لأنه لا ينفع علم مع العليم، وكذلك ليس الأمر بالمال الكثير، لأن ربَّنا هو الذي يعطي المال.

طريق الفتح

إذن كيف يحصل للمرء فتح الله؟ بالقلب السليم! فيطهِّر هذا القلب ويقف على ساحل سيِّد الوجود، ويستمطر من الله الفضل والكرم والجود، فيناوله الله ﷻ من علم الله المشهود:

عِلْـــمُ غَيْـــبٍ عَـــنْ شُـــهُودٍ لا بِعِلْمِـــي أَوْ بِعَمَلِـــي
بَـــلْ بِفَضْـــلِ اللهِ رَبِّـــي وَبِطـــهَ خَيْـــرِ رُسُـــلِ
وَأَنَـــا عَبْـــدٌ ظَلُـــومٌ أَعْلَمُـــونِي بَعْـــدَ جَهْلِـــي
كَشَـــفُوا لِـــي الحُجْـــبَ حَتَّـــى أَشْـــهَدُونِي نُـــورَ أَصْـــلِي

هذا مفتاح الفتح، فالفتح ليس بالعلم ولا بالأمل، ولا بالمال ولا بالعمل، لأن العمل لو وضع على ميزان الصدق والإخلاص لكان كلُّه زلل!! فأي عمل يعمله أيُّ عبدٍ صالح لو وزن بميزان الصدق والإخلاص سنقول جميعاً كما قال الخواص: (إخلاصنا يحتاج إلى إخلاص!!). من الذي يصل للغاية من الإخلاص لله ﷻ؟ إذن ما المفتاح لفَتْحِ الكريم الفتَّاح؟ هو الوقوف على باب الحضرة المحمدية، والإنسان يقول لكل أرجاء عوالمه الظاهرة والخفيَّة: أنه عَبْدٌ فقيرٌ إلى الله العليِّ القدير، ويقول له:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [٢٤القصص]

صاحب هذه الكلمة سيدنا موسى عليه السلام، وهذا أمر هام لكل من أراد أن ينال هذا المرام، من الفتح والكشف والإلهام، (سقى لهما) – سقا للبنتين بدون أن يُطْلَبَ منه، ثم تولَّى إلى الظلِّ، وأحسَّ أنه جوعان وطلب من الله ﷻ:

﴿ فَقَال رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

وإذا بالفتاتين تأتيان وتقولان:

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [٢٥:القصص]

ليعطيك أجرتك، قال: لا، نحن آل بيت لا نأخذ أجراً على عملٍ عملناه لله، مع أنه فقير ومحتاج إلى رغيف عيش!! لكن العمل الذي عمله لله حرص أن لا يأخذ عليه حتى كلمة شكر، لأنه يرجو فيه الفتح من الله عزَّ وجلَّ، فأئمة أهل الفتح مبدؤهم:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [٩الإنسان]

لا يريدون جزاءً ولا حتى كلمة شكر.

وقد سار على هذا المنهاج حتى حصيفات النساء مثل اللاتى قال فيهن سيد الأنبياء ﷺ:

{ كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يَكْمُل من النساء إلا أربع: فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم }[٧٨].

يعرفنا أن الكمال في النساء قليل .. فأهل الكمال منهن ... السيدة فاطمة، وعلى أثرها السيدة عائشة ...

كانت إحداهن إذا تصدقت بصدقة تقول للخادم: أعطها لفلان ثم أحفظ ما يقول من الدعاء، وعندما يرجع تسأله بِمَ دعا؟ فيقول: بكذا وكذا، فتدعو له بمثل ما دعا، فسئلن لم تفعلن ذلك؟

فقلن: دعاءٌ بدعاءٍ حتى تسلم لنا صدقاتنا عند الله.[٧٩]

---

٧٨ (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد والترمذي وابن حبان والنسائي وابن ماجة عن أبي موسى الأشعري بلفظ: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

٧٩ وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفاً إلى فقير قالتا للرسول: احفظ ما يدعو به ثم كانتا

فقد خفن أن تكون الدعوة هي الأجرة. فالذي يريد أن يستكثر ماذا يفعل؟

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [٦المدثر]

لا يمُنُّ على أحدٍ بأن يقول له عملت لك كذا، ولا أحضرت لك كذا، ولا علَّمتك كذا، ولا وهبتك كذا، ولا صنعت معك كذا !!

هل أنت عملت هذا له أم الله؟

لا يجوز أن يكون للإثنين، إما لهذا وإما لذلك .

إذا كان لهذا العبد الضعيف تكون قد أخذت أجرتك منه، ..

فلا تنتظر أجراً أو ثواباً، أو رفعة أو مقاماً عند الله ﷻ.

أما إذا كنت تريد الأجر من الله:

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ﴾[٥١هود]

وهذا مَحَكٌّ جوهريّ يقع فيه معظم الناس إلا الصالحون:

حتى الأب مع أولاده:

بعد ما كبرت الأولاد وتعلمت واشتغلت بالعمل، ربما حدث له مع أحد أولاده أمر فيقول له: أنا علمتك وصرفت عليك كذا، وربيتك بكذا، وفعلت معك كذا وكذا، فيضيع ثوابه عند الله ﷻ!!

هل أنت تعلمه لتريد منه شيئًا؟

هل تزوّجه لتريد منه حاجة؟

كلاَّ، بل أنت لا تريد إلا من الله عزَّ وجلَّ، قال في ذلك الأمر ﷺ:

تردان عليه مثل قولـه، وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا ، إحياء علوم الدين

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلاً سِرّاً فَيَكْتُبُهُ اللَّهُ عِنْدَهُ سَرّاً ، فَلاَ يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِهِ فَيُمْحَىٰ مِنَ السر وَيُكْتَبُ عَلاَنِيَةً، فَإِنْ عَادَ فَتَكَلَّمَ الثَّانِيَةَ مُحِيَ مِنَ السر وَالْعَلاَنِيَةِ وَكُتِبَ رِيَاءً }[٨٠].

فيجعله يحدِّث به ولو بعد خمسين عاماً!!

فقد يعمل عملاً من أعمال البرّ والخير ويكتمه، وبعد حين من الدهر يجلس مع جماعة فيخدعه الشيطان ويقول له: وأما بنعمة ربّك فحدث، ولم يلحظ الإشارة العظيمة في الآية.

فقد قال: وأما بنعمة الربوبية فحدث:

كالأكل والشرب والخير واللطف والفضل الذي أعطاه لك الله ... حدِّث به عباد الله عزَّ وجلَّ!!

لكن الذي عملته لم يقل حدِّث به، الذي عمله معك ربنا حدث به الناس، ليعرفوا الله ويقبلوا على الله، لكن الذي عملته أنت هل تحدِّث به. (وأما بنعمة ربك – التي أجراها عليك والتي صنعها معك – فحدِّث)!!!

لكن لم يقل حدِّث بالذي عملته أو صنعته أو فعلته، وإنما قال:

﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[١٠:فاطر]

لا يضعه أمام عينيه من أجل أن ينظر إليه على الدوام ويظل مشغولاً به، ويريد أن يحدِّث به، لكن يرفعه إلى الله وينساه وينسى ماذا عمل:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[٦٤:مريم]

---

٨٠ أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري رضي الله عنه بقوله بلغني:).

فيعلم بأن الله لا ينساه، وكذلك لا يضيع شيئًا من ثوابه:

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[٣٠:الكهف]

فطالما أنه لا يضيع العمل الصالح لماذا تقل لفلان أو علان؟.

فهذا محك من المحكات التي يزن أهل الكمال أنفسهم ... بها ليقفوا على بحر النفحات والجود والهبات.

هل يليق برجل من الصالحين أن يَمُنَّ على رجل بعد أن أعطاه الله الفتح على يديه، والكشف على يديه، ويقول أنا الذي ربَّيتك وربنا فتح عليك بسببي؟!! أو أنت صرت من أهل الكشف لأجل خاطري؟!!

أسمعتم على أمر مثل هذا من الصالحين؟!!

لا ..!!!!

لأنهم يرون أنهم ليس معهم شيء، وليس هذا كلامًا فقط ولكنه إحساس وشعور داخلي، فيشعرون أنهم بنور الله وبتوفيق الله قائمون، ولو تخلَّت عنهم عنايته ﷻ طرفة عين أو أقل لصاروا أقل من الهواء!!

لأن الله ﷻ بفضله وكرمه وجوده وإتحافه وإنعامه هو الذي يواليهم بكل ذلك، الرجل الذي يشتغل في محل من المحلات العظيمة وفيه من كل خيرات الدنيا، ماذا يملك في هذا المحل؟!! لا يملك شيئاً!!!.

ونحن كذلك نعمل في معرض سيدنا رسول الله:

فنعرض بيانه، ونعرض حِكَمَهُ، ونعرض أفعاله، ونعرض أنواره:

لكنها ليست لنا أو منا ....، بل منه ﷺ .... إلى أهلها المستحقين لها من المؤمنين والمخلصين والصادقين في طلبهم لله عزَّ وجلَّ في كل وقت وحين.

كمال أخلاقه

ورسول الله ﷺ هو المنة الكبرى ..

وربنا يمنُّ علينا بها، ويعطينا مؤشراً بسيطاً أختم به حديثي، وأرجو أن تسامحوني في الإطالة، فهذا هو الذي أقصده من الحديث من البداية: بِمَ خصَّه الله على أنبياء الله ورسل الله ﷺ؟.

الأنبياء والمرسلون أعطاهم الله أخلاق الكمال، وصلَّى الله على حبيبه الأوحد ورسولنا الأمجد الذي زاده الله كمالاً على كل أهل الكمال، ولذلك قال ﷺ:

{ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق }[٨١].

لم يقل إنما بعثت بمكارم الأخلاق، لأن هذا بُعث به كلُّ النبيين، وإنما عليه أن يتمم هذه المكارم، ويعلو بهذه الفضائل والسجايا، ولذلك قال له الله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٤:القلم]

لم يقل وإنك لذو خلق عظيم:

فإن كل رسول من السابقين ذو خلق عظيم ...

لكنه ﷺ أعلى من الخلق العظيم كمالاً، ومن بعد الكمال مزيد!

فإذا كان الخلق العظيم في كظم الغيظ، فإن الكمال الأعظم في الإحسان إلى من أساء إليك، وهذا لمن؟ لرسول الله ﷺ.

وإذا كان الخلق العظيم أن تصل من وصلك .... فإن الخلق الأعظم ... أن تصل من قطعك.

---

٨١ رواه البيهقي في سننه والدارمي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا كان الخلق العظيم أن ترد الهدية والعطاء على من أهداك أو أعطاك.. فإن الكمال الأعظم أن تعطي من حرمك ومنعك:

{ أن أصل من قطعني وأعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمني }[٨٢].

هذه الأخلاق العظيمة التي خصَّه بها الله ﷻ:

إذا كان مدح الله ﷻ النبيين ببعض الأخلاق فقد جمع له كل مكارم الأخلاق، وزاده عليها نصيبًا في وسعة الأخلاق، لم يصل إليه أحدٌ على الإطلاق.

فمدح الله ﷻ داود، ومدح الله موسى، ومدح الله عيسى، ومدح الله إسماعيل، ومدح الله أيوب، لكن انظر إلى مدائحهم ومدح الله لحبيبه ومصطفاه تجد فرقاً شاسعاً، وبوناً كبيراً بين الكمالين؛ كمال النبيين والكمال الأعلى لسيد النبيين ﷺ. يقول الله ﷻ في شأن أيوب عليه السلام:

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٤٤:ص]

فمدحه بالصبر؛ لكن حبيب الله عزَّ وجلَّ ومصطفاه – ﷺ – لما وصفه الله بالصبر ليس في موطن واحد وإنما في مواطن متعددة، ولكل واحد منها مدد فريد من الحميد المجيد لهذا النبي ﷺ:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [٣٥: الأحقاف]

فها هنا قال له:

أنت صبرك مثل صبر أولوا العزم مجتمعين، فلو جمع صبرهم لكان صبر الحبيب ﷺ أعلى من جميع صبرهم، لماذا؟. لأنهم يتصبرون أما هو:

---

٨٢ مشكاة المصابيح عن أبي هريرة ﷺ وتمامه قال رسول الله ﷺ:{ أمرني ربي بتسع: خشيةِ اللهِ في السرّ والعلانية وكلمةِ العدلِ في الغضب والرضى، والقصدِ في الفقرِ والغنى، وأن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعْفُو عمَّن ظلمني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرةً، وآمر بالعرفِ } وقيل: {بالمعروف}.

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٢٧:النحل]

وكذلك فالكريم الذي يجود بما عنده، لكن هل هناك كريم يكلف نفسه أن يجود بما ليس عنده؟!! لا يكون هذا المقام إلا لرسول الله ﷺ.

يمنـــاك تهمـــي بالعطـــا وسما بنسبته إليك الجود

{ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ، فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللهُ مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفِقْ وَلاَ تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلاَلاً، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ }[٨٣]

أي أن الله أمره أن يتوكل على الله وينفق فوق طاقته ..

لأنه زاد في الكرم على جميع الكرماء بما أتاه الله ﷻ من نعمه التي لا تعد ولا تحصى صلوات الله وسلامه عليه.

فالكريم قد يجود بيمناه ... لكن من الذي يهون عليه حتى منكم أن يجود بأخراه أو بعمل صالح قدمه إلى الله؟!!

من الذي يهون عليه؟!!

لكنه يقول: (أمتي .. أمتي)، فيقول الله ﷻ :

---

٨٣ أخرجه التِّرْمِذِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، المسند الجامع

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [٥:الضحى]

لا يقول نفسي نفسي، ولكن يقول أمتي أمتي، فيطلب الخير لنا والبر بنا وينسى نفسه إيثارًا لنا صلوات الله وسلامه عليه، لأنه هو المثل الأعلى في الإيثار.

ضرب الله بإسماعيل المثل الأعلى في صدق الوعد:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ [٥٤ مريم]

ورسولنا صادق الوعد في كل ما وعد به:

وليس في هذه الحياة فقط ... لكن في الدنيا والآخرة ...

فمن رآه في المنام إلى يوم الزحام فقد رآه حقًّا، فإن الشيطان لا يتمثل به، ومن بشّره ببشرى لا بد أن يفي له بها.

ذهب إليه سراقة بن مالك وقال له أريد بشرى، فقال له: كيف بك إذا لبست سوار كسرى(ملك الفرس)؟!!! ولا بد من تحقيق الوعد، وقد تحقق وعده في عصر عمر بن الخطاب ﷺ فقد روى

{ أَنَّ عُمَرَ ﷺ أُتِيَ بِفَرْوَةِ كِسْرَى فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفِي الْقَوْمِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: فَأَلْقَى إِلَيْهِ سِوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، فَجَعَلَهُمَا فِي يَدَيْهِ فَبَلَغَا مَنْكِبَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُمَا عُمَرُ فِي يَدَيْ سُرَاقَةَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ سِوَارَا كِسْرَى فِي يَدِ سُرَاقَةَ، أَعْرَابِيٍّ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ }[٨٤]

وفتش في سيرته، ما وعد أحداً بشيء في دنياه أو في أخراه إلا ووفَّى به ﷺ، لأن

٨٤ سير أعلام النبلاء وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْحَسَنِ

له كل ما وعد به، تصديقاً من الله ﷻ له صلوات الله وسلامه عليه، فرسول الله ﷺ أعلى همة وأعلى عزيمة ولم يرض لنا أن نرضي بالأخلاق الكريمة بل طلب منا أن نعلو على الأخلاق الكريمة ونتخلق بأخلاقه العظيمة صلوات الله وسلامه عليه.

كنز فضل الله

ومن هنا فالذي يريد أن يكتمل له باب فضل الله ...

عليه أن يتخلق بأخلاق رسول الله، فلا يعامل الناس بمعاملاتهم وإنما يعامل الناس بمعاملة رسول الله للناس، فيصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، لا ينطق عن الهوى ولا يفعل شيئا رغبة في رضاء نفسه، لأنه لا يغضب لنفسه وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله، لا يغضب بأن هذا تحدَّث عنه بحديث لا يليق فيحرمه من نعمة من النعم أو نوعا من الجود والكرم، وإنما يفعل ما يليق به، لأنه يريد وصال حضرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه.

فالكمال لأهل الكمال الَّذين تحلوا بشريف الخصال خلف النبي المصطفى ﷺ في كل حال، وديوان الصالحين وسير المتقين من أهل الفتح في كل وقت وحين كلها على هذه الأحوال، كيف يعاملوا أعداءهم؟. وكيف يكرموا خصومهم؟. وكيف يعفو عمن ظلمهم؟. وكيف يحسنوا إلى من أساء إليهم؟ بهذا بلغوا، وبهذا ارتفعوا وبهذا قعدوا على بحر الفضل الأعظم واغترفوا منه صلوات الله وسلامه عليه.

أما الذي ما زالت نفسه حيَّة ويريد أن يقول:

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾[١٩٤ البقرة]

مثلما يعاملني فلان فسأعامله، هذا لا ينفع يا إخواني في ديوان الصالحين، ولا يكون من أهل الفتح المبين، لأن هذا هو طريق:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [٢٩:الفتح]

اختاروا الطريق وجعلوا أنفسهم أئمة أهل التحقيق، وعلموا علم اليقين أنه لا يستطيع أن يدنوا منهم في أخلاقهم وتعاملهم رفيق، فأراحوا أنفسهم من هذا الضيق، لأنهم صاروا على منهاج صاحب الكمال الأعظم ﷺ، ومن هنا قيل عن أهل الطريق أهل السماح، أهل العفو، أهل الصفح، أهل الفضل، إذا ذكر أهل الطريق فهذه صفاتهم وهذه أحوالهم.

هَـــيِ الأخْـــلاقُ أَسْـــرَارُ المَعَـــالِي تُفَـاضُ عَلَـى ذَوِي الهِمَـمِ العَـوَالِي
تَـــرَى الإِنْسَـــانَ إِنْسَـــاناً يَقِينـــاً وَتَفْـــتَحُ لَـــهُ كُنُـــوزَ المَجَـــالِي

هذا هو النسب السريع لفضل الله من رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يمنَّ علينا بالأخلاق المحمدية ...

والصفات النورانية القرآنية ...

وأن ينقّي نفوسنا من شوائبها النفسية ...

ومن كدوراتها وهواجسها ونزغاتها الإبليسية، وأن يجعل قلوبنا بيضاء تقيَّة ونقيَّة، وأن يواجهنا بالحضرة المحمديَّة في غدوِّنا ورواحنا، وفي أمسياتنا وصباحاتنا، وفي حياتنا وبعد انتقالنا إلى حضرة ربِّنا، ويجعله ﷺ إماماً لنا على التحقيق، ويجعلنا على قدمه في كل أثلة ويجعلنا من أهل التوفيق.

اللهم عمَّنا بعطاياك، ووالينا بفضلك وهباتك، وخلِّصنا من جميع الأغيار، واجعل بيوتنا وقلوبنا بيوتاً للأسرار والأنوار، ووفِّقنا في غدواتنا وروحاتنا لإحياء نهج النبيِّ المختار.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل التاسع

سرُّ السَّعَادَةِ الأزَلِيَّة

سر سعادتنا الإيمانية

نعمة الهداية

حقيقة الرحمة

الرحمة العظمى لجميع العالم

سر ابتلاء الله للمؤمنين

الفصل التاسع

سر السعادة الأزلية[٨٥]

الحمد لله الذي جعلنا من الأمة المجتباة، وخصَّنا بالرحمة المهداة، وغشانا بفضله بنور حبيبه ومصطفاه. والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّدٍ الرحمة العظمى لجميع الأنام، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الزحام. صلَّى الله وسلَّم عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه في الدنيا، وكان معه يوم لقاء الملك العلام، وعلينا معهم أجمعين، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين. أما بعد ...

فيا إخواني ويا أحبابي: بارك الله ﷻ فيكم أجمعين

في الحقيقة يحتار الإنسان عندما يكلم علماء فقهاء في أمر من الأمور، وأنتم والحمد لله قد أحطتم بجوانب سيرة حبيب الله ومصطفاه من جميع جوانبها، ودرستم ما مدحه به الله ﷻ في كتابه، وما أثنى به عليه سبحانه وتعالى في آيات قرآنه، ولكن كما قال الله لحبيبه ومصطفاه:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٥الذاريات]

فإننا نذكر أنفسنا في هذه الليلة بالنُّور التَّام، الذي أحيا به الله منا الأرواح والعظام، وجعلنا به في الدنيا من أهل الإسلام ....

ونسأله ﷻ أن يجعلنا به في الآخرة من أهل النظر إلى وجهه على الدوام.

نتذكر بحبيب الله ومصطفاه أنه ﷺ كان رحمةً عظمى ...

---

٨٥ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/٦/١٥م، بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة في ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

وأن الله رحمنا به قبل كوننا، وقبل ظهور صور أرواحنا، وقبل أن يكتب الهداية لنا، وقبل أن ينبلج في الكون كلِّه شيءٌ لنا أو عنَّا أو حولنا.

فمن رحمة الله بنا ولنا وعلينا جماعة المؤمنين ...

أن الله ﷻ عندما خَلَقَ الخَلْقَ وميَّز بينهم، وقال:

{ هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي }[٨٦]

اختارنا في الكفَّة التي قال فيها: (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي).

وقد كانت هذه أول قطرة مسَّتْنَا وشرفتنا من رحمة رسول الله ﷺ بنا!! يصور ذلك الحبيب صلوات الله وسلامه عليه فيقول: (إن الله خلق الخلق في ظلمة)، والخلق هنا للجميع، خلق أرواحهم وأنفسهم جميعاً بلا استثناء في أزله القديم:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾، يعني: جميعاً، ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾، أعطى كلَّ رُوح صورتها، وبعد الخلق والتصوير: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ [١١:الأعراف]،

إذن الخلق كله والتصور كله للعالم كله كان قبل السجود لآدم عليه السلام:

{ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فِى ظُلْمَةٍ ثم ألقى عليهم من نورهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ النُّورُ اهْتَدَى، ومَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }[٨٧]

إذن أول إغاثة لنا برحمة الله وحبيب الله ومصطفاه ...

أن الله صبغ أرواحنا بنور حبيبه ومصطفاه:

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ [١٣٨:البقرة]

---

٨٦ رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه.
٨٧ مسند الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وأخذنا من هذه اللحظة شيئاً من ميراثه النوراني ....

فقد أخذ من اللحظة التي قبلها:

﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ [٨١الزخرف]

ونحن أخذنا بعدها:

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [١٣٨:البقرة]

ساعة ما صبغنا بروح الحبيب المصطفى ...

وغمس أرواحنا في نوره ...

انشرحت الصدور للهداية، وكتبت لنا العناية، وجعلنا الله مثبَّتين في دائرة الولاية، وكانت الأعمال والأفعال بعد ذلك تبعاً لذلك ...

وهذا ما عبَّر عنه الأنصار حيث يقولون:

اللَّهُمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

قال فيها الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

لَوْلا العِنَايَةُ مِنْ أَزَلٍ لَنَا سَبَقَتْ لَمَا اهْتَدَيْنَا وَلا أَرْوَاحُنَا عَشَقَتْ

في هذه التوجهات المحمدية لأرواحنا وذواتنا النورانية شهدنا ورأينا الحقيقة المصطفوية، بنورها وبهائها وضيائها، وجمالها وكمالها، وعلوها وسماءِها ... وكان قد سبق للنبيِّين ظهور ذلك النور ... ومن بعد انبلج للملائكة هذا النور ...

فلما جئنا إلى عالم الكون كان معنا جهاز الاستقبال الذي يستقبل كتاب الله بخشوع وخضوع وإيمان وتسليم !!

ومعنا جهاز الاستقبال .... الذي يصدق رسول الله .... في كل ما جاء به من عند مولاه ﷻ.

سِرُّ سَعادتنا الإيمانية

فأمره الله ﷻ أن يذكرنا بهذه الحقيقة التي كنا فيها، وهي سبب سعادتنا، وسبب هدايتنا إلى الله ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ ﴾، في العالم الأول: ﴿ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴾ [١٠٧:الإسراء].

وربنا لم يقل له عَلِّمْهم، وإنما قال له: ﴿وَذَكِّرْ﴾، أي فكِّر المؤمنين بما كانوا عليه من بهاء وثناء، وجمال وكمال في حضرة الواحد المتعال، حتى يعلموا علم اليقين أن الإيمان فَضْلٌ من الله، ليس اجتهاد ولا محصلة تعب وعناء.

فلا يجب على مؤمن أن يظن أن إيمانه بسبب اجتهاده أو بمهارته، أو حتى وراثة عن أبوين كريمين، لأن الله ﷻ يحكي لنا أن ابن نبيّ الله نوح لم تفلح معه جهود أبيه في جذبه إلى توحيد الله ﷻ!! وحتى لمَّا نزل عذاب الله كان يرجو أن يكون هذا دافعاً له إلى الإيمان بالله فقال:

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾، يعني انطق بالتوحيد واركب معناه: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٤٢:هود]

ولكن شقوة الله السابقة كانت حاكمة:

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ [٤٣هود].

ويسوق الله إلينا حديث نبيّ الله نوح مع ربّه عن ابنه لنعلم فضل الله علينا وعلى أبنائنا وعلى بناتنا وعلى إخواننا أجمعين:

﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [٤٥:هود]

انظر إلى هذه الضراعة!! ومن الذي يضرع؟ نبيٌّ كريم على الله، وعزيزٌ على مولاه، ويضرع إلى الله في ابنه وفلذة كبده أن يهديه الله:

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾[٤٦هود]

أو في القراءة الثانية: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

نعمة الهداية

فنَبِيُّ الله يضرع إلى الله في ابنه أن يهديه الله؛ ليعلمنا الله فضل الهداية التي تفضل بها علينا الله، وليس لأن أبي مسلم وأمي مسلمة وإنما فَضْلٌ من الله، وإكرام من الله، وإنعام من الله. ولذلك قال الله تعالى للحبيب صلوات الله وسلامه عليه:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [١٧:الحجرات].

وهذه النعمة لو جلسنا نشكر الله طوال عمرنا حتى نلقى الله لم نستطع أن نشكره عليها!! نعمة الهداية، حتى لو جعل الله لنا الدنيا همًّا ملازماً، ونكداً دائماً، وجحيماً لا يطاق، لكن حفظ لنا الهداية حتى نلقى حضرة الخلاَّق، ماذا يحدث لنا؟ ماذا تساوي الدنيا بما فيها من فتن وإحن بعد أن يَمُنَّ الله علينا ويتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين؟!!

هذه النعمة.. المؤمن دائماً يجعلها على رأس النعم التي يذكرها لمولاه، ويسأله دوامها حتى يلقاه وهو من عباده المسلمين، وهي النعمة التي كان سلفنا الصالح يقولون فيها: (اللهم أدمها نعمة واحفظها من الزوال)، فلا يقصد بالنعمة هنا الأكل والشرب

والأثاث وغيرها، وإنما نعمة الهداية والإسلام التي نحن فيها، لأن القوت ربُّنا حافظه طبيعي:

{. فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا }[٨٨]

وكانوا يسألون الله ذلك قائلين:

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [١٠١:يوسف]

وهذه هي دعوة أنبياء الله ﷻ. فرحمنا الله بحبيبه ومصطفاه في البدء، ورحمنا الله عزَّ وجلَّ بشرعه في الدنيا.

حقيقة الرحمة

والذي يريد أن يرحمه الله ويعيش في رحمة الله – إن كان مع زوجته، أو مع ولده، أو مع أهله، أو مع جيرانه، أو مع مجتمعه – ماذا يفعل؟

يرحم نفسه!! أي يطبق شرع الله الذي جاء به الرحمة المهداة ..

وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وصدق فيما قال:

{ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بالإِسْلاَمِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ }[٨٩]

---

٨٨ الحديث { أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ } سنن ابن ماجه عن جابر بن عبدالله

٨٩ رواه الحاكم، الترغيب والترهيب عن طارق فى رحلة عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس : قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ، ومَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ، فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ، وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، فَنَزَلَ وخَلَعَ خُفَّيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هذَا! مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ: أَوَّهُ، وَلَوْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نِكَالاً لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

ليس هناك رحمة ولا تراحم إلا بشرع الله، فالبيت الذي فيه شرع الله مقامٌ في كلِّ أحوالهم – في حديثهم، وفي جلساتهم، وفي مأكلهم، وفي مشاربهم، وفي ملبسهم، وفي نومهم، وفي معايشهم – تجدهم رحماء حكماء علماء!! حتى كل الأشياء التي يمسُّونها تنبجس منها الرحمة، لأنهم رحمهم الرحيم الرحمن ﷻ. فإذا وجدت مشقة أو عنت، أو شقة أو خلاف، أو فرقة أو نزاع، أو صدود أو هجران، فلأنهم قصَّرُوا في حُكْمٍ من أحكام الرحمن، ولم يتابعوا فيه منهج النبي العدنان ﷺ.

الرحمة العظمى لجميع العالم

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [١٠٧:الأنبياء]

حتى الكافرين، فقد أرسل الله النبيّين والمرسلين السابقين فكانوا مَنْ يكذب بهم، ويظلُّ على تكذيب توحيدهم وشرعهم، يطلبون من الله فوراً أن ينزل العذاب بهم كلّهم، فأولهم سيدنا نوح قال:

﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [٢٦:نوح]

وذكر الأسباب فقال:

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا﴾ [٢٧:نوح]

وهكذا كلُّ الأنبياء السابقون، لكن خير المرسلين رفع الله به العذاب عن جميع المعاصرين إلى يوم الدين:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾ [٣٣:الأنفال]

فرفع الله عن الأرض قرارات الخسف والمسخ، والقذف بالحجارة والغرق، والعذاب العام لجميع الأنام، لأنه رحمة تامة للخاص والعام صلوات الله وسلامه عليه،

وأعطانا به المثل عندما جاءه قومه فكذبوه وعادوه وأخرجوه .. وتحكى السيدة عائشة رضى الله عنها وتقول أنه قالت لرسول الله ﷺ:

{هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت (منهم) يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد: إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال (له) رسول الله : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً }[٩٠]

إذا كان لم يدعُ على كافر أذاه، فكيف يدعو مسلمٌ على مسلمٍ ظنَّ أنه أذاه، ولم يتثبت ويتيقن كما أمر الله؟!!

فما بالكم بالمسلم يدعو على ضناه؟!! يدعو على ابنه؟!! أو يدعو على ابنته؟!! أو يدعو على زوجه؟!! أو يدعو على أهله؟!!

أين هذا من الرحمة العظمى لجميع العالم؟!!

---

٩٠ سنن النسائي الكبرى عن عروة بن الزبير عن عائشة

إذا كان لم يدعُ على الكافرين طمعاً في أن يُخْرِجَ منهم الموحدين:

فنحن ندعو لهم بالرشد!، وندعو لهم بالتوفيق!، ندعو لهم بأي دعاء فيه رجاء، والله ﷻ لا يخيّب رجاء من دعاه بخير أبداً.

وكان من رحمة الله العظمى بنا بحبيبنا ﷺ في حياتنا:

أنه علم ضعفنا وعلم عجزنا وعلم بشريتنا بأننا قد ننساق إلى مثل ما قلناه!!، فأخذ عهداً ووعداً من مولاه ألا يستجيب لنا في ما قلناه ..

فقال ﷺ – لنعلم ذلك علم اليقين:

{ إن الله يستجيب لأحدكم ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعة رحم }[٩١]

يعني لو دعا على أحد بأن يقع في معصية لا يستجيب له الله طلبا من حبيب الله ومصطفاه، ولو دعا أب أن يقاطع ابنه، أو ابن بأن يهجر أباه، أو أخ أن يهجر أخاه لا يستجيب له الله، فإن الله لا يستجيب دعاءً في إثم أو قطيعة رحم.

والمسلم رحمه الله في هذه الحياة ...

وجعل رحمته في كتاب الله ... وفي نور حديث رسول الله ﷺ ..

فرحمة الله معنا، ورحمة الله فينا، ورحمة الله بيننا، كل ما تحتاج منا أن نعزم عزيمة أكيدة أن نطالع سيرته، وأن نعمل بسنته، وأن نسير على محجته، فقد قال ﷺ:

{ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءَ لَيْلِهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ }[٩٢].

---

٩١ جامع المسانيد والمراسيل عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفيه { وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلاَفاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيينَ الرَّاشِدِينَ }.

٩٢ رواه أحمد وبن ماجة والحاكم في المستدرك عن عرباض ابن سارية رضي الله عنه.

سر ابتلاء الله للمؤمنين

وبعد أن رتب أمور المؤمنين، ووضع التقنينات الرحيمة للمسلمين، وجعلنا مرحومين في كل حركاتنا وسكناتنا بشريعته والاستمساك بسنته صلوات الله وسلامه عليه، سأل الله ﷻ أن يجعل هذه الأمة تخرج من الدنيا وليس عليها مُلِمَّةٌ أو ذنبٌ يؤاخذها الله ﷻ به بعد الموت، فقال ﷺ:

(إن الله جعل عذاب أمتي في الدنيا بالزلازل والفتن والمحن)[٩٣].

فما يمرُّ بنا من ضائقات أو بعض النكبات، أو الزلازل التي يسبقها لطف اللطيف، وتغمرها رحمة الرحيم، فإنما هي دعوة النبيّ الكريم، فمن رحمته بنا دعا الله ﷻ أن نخرج جميعاً من هنا وليس لنا سيئة يطالبنا بها الله ﷻ، فمن هنا قال ﷺ في أحاديث كثيرة:

(ما مِنْ همٍّ ولا غم، ولا ألمٍ يصاب به العبد المؤمن، حتى الشوكة يشتاكها، إلا وكفر الله عزَّ وجلَّ بها من خطاياه)[٩٤]

وعندما ذهب يزور مؤمنًا فى مرض ووجده يعاني من خوف شديد قال له ﷺ:

{ أَبْشِرْ. فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ، فِي الدُّنْيَا. لِتَكُونَ حَظَّهُ، مِنَ النَّارِ، فِي الآخِرَةِ }[٩٥].

فالذي تجيء له الحمى مرة فقد أخذ نصيبه من نار جهنم.

---

٩٣ رواه أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي موسى رضي الله عنه.
٩٤ رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها
٩٥ روى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: (أن النبي ﷺ عادَ رَجُلاً مِن وَعَك كان به، فقال: أبشر، فإن الله يقول: هي ناري أسَلِّطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة).

فجعل الله الهمَّ تفريجاً لنا في دنيانا، والزلازل والفتن تكفيراً لذنوبنا وخطايانا، وتشتد المحن لمن أراد الله ﷻ أن يزيده في المنن، لقوله ﷺ:

{إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ الله مَنْزِلَةً لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلاَهُ الله في جَسَدِهِ أَوْ في مَالِهِ أَوْ في وَلَدِهِ-ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ المَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى }[٩٦]

أي يكون الابتلاء رفعة من الله ﷻ لينال منازل عليين الذي لا يعمل الأعمال الصالحة التي توصله لرب العالمين ﷻ. فتوالت علينا رحماته حتى قال:

{ أمتي أمة مرحومة، مغفور لها، متاب عليها }[٩٧] { أُمَّتِي أُمَّةٌ مُبَارَكَةٌ لاَ يُدْرَىٰ أَوَّلُهَا خَيْرٌ أَوْ آخِرُهَا }[٩٨]. وقال ﷺ: { إِنَّمَا حَرُّ جَهَنَّمَ عَلَى أُمَّتِي كَحَر الْحَمَّامِ }[٩٩]

أي حتى الذي يدخل فإن عذابه يكون كحرّ الحمام الذي يستحم فيه، كأنه حمام ساخن!! فكان ما نحن فيه فضل من الله ومنة من الله، حتى نتنبه بالرجوع إلى شرع الله وإلى سنة حبيبه ومصطفاه.

إذن ما ينزل بالمؤمنين في الدنيا ليس عقوبة، وليس بلاءً!! وليس كما يظن البعض انتقاماً من الله ..! وإنما هو تنبيه من الله لنرجع جميعاً إلى شرع الحبيب وسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ... لأن مَنْ عاش متنبهاً كان كما جاء في الحكمة العالية من الأثر:

---

٩٦ إبْرَاهِيمُ بنُ مَهْدِيَ السُّلَمِيُّ عن أبِيهِ عن جَدِّه فى سنن أبي داوود وفيها بزيادة واختلاف روايات

٩٧ الحاكم في الكنى - عن أنس، كنز العمال

٩٨ ابن عساكر عن عمرو بن عثمان مُرْسَلاً

٩٩ أبو نعيم في المعرفة طس عن أبي بَكْرٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

{ من عاش متنبهاً قلَّت مصائبه }

جعل الناس هذا الأثر لمن عاش متنبهاً لمدارك الدنيا وطرق أخذها، وكيفية تحصيلها، وكيفية تفويت فرصها على غيره والاستئثار بها !!!

وإن كان هذا الأثر لا يحمل هذا المعنى!!

فمن عاش متنبهاً – في نفسه وفي أهله وفي عمله – لمنهج الله وسنة حبيب الله قلَّت مصائبه، فإن الله ﷻ قال في محكم قرآنه:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [٩٧:النحل]

فالمهم اليقين في إتباع سيد الأولين والآخرين، كل ما يتعب أتباع هذا الدين تشككهم في صدق الإتباع، وظنهم بنفوسهم أن هذا خداع، حيث يكون حديث نفسه: كيف يمشي على شرع الله، ويعكف على سنة حبيب الله ومصطفاه، ويهيأ الله ﷻ له ما يرجوه في هذه الحياة؟ هذا التشكك وهذا التزلزل هو الذي يجعل الأمر في نفسك غير يقيني وغير جازم، والله ﷻ يقول لنا أجمعين:

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [٩٩:الحجر]

فاجعل اليقين في قلبك بأن أمرك سينصلح كله في صدرك وفي نفسك وفي بيتك وفي أهلك إذا عملت بشرع الله وبسنة حبيب الله ومصطفاه وليس على هواك، ولكن على حسب ما نزل به الشرع الشريف وسنة النبيّ صلوات الله وسلامه عليه، وما ورد عن الأئمة الأعلام، هنالك تجد الرحمة تحفُّك من كل جوانبك، رحمة الله في خاطرك، ورحمة الله في فؤادك، ورحمة الله في فكرك، ورحمة الله في مالك، ورحمة الله في زوجك، ورحمة الله في ولدك، ورحمة الله في كل من حولك.

تجد صدرك فيه رحمة الله فلا يضيق بنازلة تنزل في هذه لحياة، لأنه يعلم سرعة تفريج الله ويحدث:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [٢:الطلاق]

وتجد كل من حولك يرحمك ويشفق عليك ولا يعنتك ولا يكلفك شططاً، ولا يطلب منك أمراً فوق طاقتك، بل يلتمس لك المخرج ...

ويجعل الناس يرضون ولو بالقليل، لأن الله رحمك وجعل في قلوبهم رحمة تفد بالود إليك. وتجد أعضاءك وقد شملتها رحمة الله فتطيعك في تنفيذ أمر الله، ولا تتململ عند تنفيذ طاعة، ولا تشمئز عن سماع كلمة طيبة، بل تجدها تَنْفِرُ عندما تقدم لها شيئاً خبيثاً، فقد كان سلفنا الصالح ﷺ إذا قدِّم لهم شيءٌ غير طيب ترتجف الأعضاء وتشمئز النفس، لأنها لا ترضى إلاَّ بالطيب:

{ إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يقبل إلا طيبا }[١٠٠].

إذاً مفتاح واحد يفتح لك جميع خزائن الله العالية والدانية فيك، في الأرض وفي السماء، وفيمن حولك: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٩٦الأعراف].

ومن رحمة الحبيب بنا صلوات الله وسلامه عليه دعا لنا وقال لله في شأننا:

{ اللّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً }[١٠١].

يعني على قدر ما يحتاجون، لأنه يعلم كما قال في حديثه المكرم:

(يا ابن آدم لا من كثير تشبع، ولا من قليل تقنع، عندك ما يكفيك، وتطلب ما يطغيك)[١٠٢]

بل ويلهيك عن خالقك وباريك!!

---

١٠٠ رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٠١ رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٠٢ رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في أربعينه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

علم أن النفس نزاعة إلى الاستكثار، وإن علمت علم اليقين أن هذا فيه كل المضار في الدنيا والعذاب يوم القرار، ولا ترجع إلا بسيف الواحد القهار ﷻ، فطلب من الله لنا أن يجعل في قلوبنا القناعة وقال لنا:

{ الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لاَ يَفْنَى }[١٠٣]

وطلب من الله أن يعطينا ما يكفينا حتى لا نستكثر من الدنيا فنبتعد عن العمل الصالح وصالح العمل، ويكون هذا غرورا لنا في الدنيا، لأن النفس في هذا الوقت تسوِّف العمل، فتنسى الأجل، وتقع في الخطأ والزلل، فإذا جاء الأجل بغتة كانت الحسرة، ولا تنفع الحسرة لمن يقول: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [٥٦الزمر] ... أما إذا كان القوت على قدر الكفاية، فيظل القلب والجنان يرجو من الله الكفاية، ويظل اللسان يطلب من الله الغنى به عما سواه، وهذا ما يطلبه الله من عباد الله أن يظلُّوا على جنابه عاكفين، وبذاته لذاته سائلين، وبذكره سبحانه وتعالى قائمين، فيعطيهم الله ﷻ ما يكفيهم في الدنيا، ويدخر الجمَّ الكثير إلى يوم الدين.

فشرع رسول الله لو تدبرناه نجده رحمة الله لنا وبنا!! فهو الرحمة لأجسامنا، وهو الرحمة لنفوسنا، وهو الرحمة لبيوتنا، وهو الرحمة لقلوبنا.

نسأل الله ﷻ أن يفقِّهنا في ديننا، وأن يرحمنا بتنفيذ شرع حبيبنا، وأن يوفِّقنا للسير على سنته، وإحياء ما اندرس بيننا من شريعته، وأن يجعلنا نقتدي بسيرته وسريرته، ولا نغفل عن هديه وسيرته طرفة عين ولا أقل، وأن يرينا في أنفسنا جمالاً، وفي أهلينا كمالاً، وفي أحوالنا قبولاً وإقبالاً، وأن يكشف عنا كلَّ عناء وبلاء، ببركة الشريعة السمحاء، والسنة الشريفة لسيد الأنبياء.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٠٣ رواه البيهقي في الزهد عن جابر رضي الله عنه

الفصل العاشر

بشائر المحبين لرسول الله ﷺ

تعلق الصحابة المباركين بجمالات النبي الكريم

زيارة الصالحين لروضة المصطفى

بشائر رجال الختام

الفصل العاشر

بشائر المحبين لرسول الله ﷺ[١٠٤]

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا واصطفانا وجعلنا في أفق حبيبه ومصطفاه أنواراً مشرقة. والصلاة والسلام على بدر التَّمام، وخير الأنام، ومصباح القلوب المرسل لها من الملك العلام، سيدنا مُحَمَّد وآله الغر الكرام، وأصحابه العظام، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الزحام، وعلينا معهم أجمعين.

ورضي الله تبارك وتعالى عن إمامنا ومرشدنا في الله تعالى مولانا الإمام أبي العزائم الذي جملنا الله عزَّ وجلَّ بالتتلمذ عليه، ورحم قلوبنا بالأنوار الواصلة إليه، وعلا هممنا بمدد العلوم النازلة عليه، ونسأله عزَّ وجلَّ أن يديم جمعنا عليه، ظاهراً وباطناً، دنيا وآخرة، حلاًّ وترحالاً، نحن وأبنائنا وبناتنا وإخواننا والمسلمين أجمعين. أما بعد .... فيا إخواني ويا أحبابي في الله ورسوله..

ونحن في ليالي ذكرى أنوار حضرة المصطفى، قد يتساءل البعض: ما الذي يجعلنا جميعاً نُحِبُّ الإمام أبا العزائم ﷺ حبًّا خاصاً، يجعل كلَّ مَنْ حولنا يتعجبون من شدته؟

الإجابة على هذا السؤال – على قدر ما أفاء عليه المصطفى ﷺ لنا من عطاء ونوال – فإن الله عزَّ شأنه جعل الكون مرآة لذاته .... وجعل الحبيب ﷺ مشكاة لجمالاته،.... فالكون مرآة يظهر فيها جمال الله وجلال الله وكمال الله ...!!!، والمؤمنون أجمعون لا يبغون في الدنيا والآخرة إلا جمال وجه الله ﷻ، وجمال الله ومشكاة ظهوره هو سيدنا رسول الله ﷺ.

---

١٠٤ كانت هذه المحاضرة مساء الخميس ١٥ من ربيع الأول ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٦/٧م، بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة في ذكرى الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ.

تعلق الصحابة المباركين بجمالات النبيِّ الكريم

وقد أوردت لنا كتب السيرة مدى تعلق أحباب رسول الله بذاته المحمدية، فمِنْ أصحابه ﷺ من تعلق بعباداته، فكانوا يذهبون إليه ليتابعونه ويرون عمله، ثم لا يكتفون بذلك، بل يذهبون إلى زوجاته الكرام ويتساءلون عن عبادة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهؤلاء يُظهر الله عزَّ وجلَّ لهم الجمال في دار الجنان، لأنهم يعبدون الله ﷻ على نهج حبيبه ومصطفاه طمعاً في جمال الله الذي يظهر في جنان الله ﷻ.

ومن أصحابه من كان يطمع في أن يحظى بوصال ربِّه، وهو يعلم يقيناً: (أن الله يحبُّ من خَلْقِهِ مَنْ كان على خُلُقه)، فكانوا يسألون عن أخلاقه القرآنية، وذهب نفرٌ منهم إلى السيدة التقية النقية السيدة عائشة ﵂ وسألوها عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقالت للسائل: (ألست تقرأ القرآن؟!! كان خلقه القرآن)[١٠٥]. قال: وأين ذلك يا أماه؟ قالت: في قوله عزَّ شأنه:

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ . ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ [١، ٢المؤمنون]

إلى آخر الآيات الكريمات.

ومنهم من كان يقتدي بهديه الظاهر، ويريد أن يتشبه به ﷺ في نسكه الظاهر. وظاهره حقّ، وباطنه حق. ظاهره نور، وباطنه نور:

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۖ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [٣٥:النور]

---

١٠٥ مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

ومنهم من كان يريد أن يتابعه في أحواله حتى ينال ما فتحه الله له من كنوز فضله وعطائه ونواله ،....

وفي هذا المجال كان تنافس عِلْيَةِ الأصحاب!!

منهم من يتنافس في حبِّه!

ومنهم من يتنافس في ودِّه!!

ومنهم من يستبق في زهده!

ومنهم من يتصارع في ورعه!

ومنهم من يهتدي به في حسن توكله على مولاه!!

ومنهم من كان يتشبه به – على قدره – في ثقته بالله !!!!

ومنهم من كان يريد أن يكون على هدى منه في تفويض الأمور لحضرة الله،!

وكلهم كما قال الإمام البوصيري ﷺ:

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ رَشْفًا مِنْ البَحْرِ أَوْ غَرْفاً مِنْ الدِّيَمِ

ومنهم من كان يتنافس – أكثر من ذلك – في وجيب قلبه مع حضرة ربِّه ﷻ!

منهم من يدعون الله خوفاً وطمعاً !

ومنهم من يدعون الله عزَّ وجلَّ يريدون وجهه!

ومنهم من لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..!

ومنهم من وقفوا على شاطيء الأعراف!

(يعرفون كلاً بسيماهم) كما عرفهم الله ...

والإمام أبو العزائم ﷺ – وهذا سرُّ حُبِّنا له – كان له الحظُّ الأعلى ... والنصيبُ الأوفر، مِنْ حُبِّ حبيب الله ومصطفاه ﷺ، فقد كان يناجيه ويقول له:

كَـمْ لَيْلَـةٍ فِيـكَ لا صَـبَاحَ لَهَـا قَدْ بِتُ فِيهَا قَانِصاً عَلَى كَبِدِي
قَـدْ غُصَّـتْ العَـيْنُ بِالـدِّمُوعِ وَقَـدْ وَضَعْتُ خَدِّي عَلَى بَنَـانِ يَدِي

فكان من شدة هيامه في رسول الله ﷺ لا يهنأ بمقام، ويقول في ذلك:

كَيْـفَ نَـوْمِي بَعْـدَ عِشْـقِي وَالحَبِيـبُ هُـوَ الإِمَـام

ويطالب أهله وذويه – ومن يريدون أن يتمتعوا بالنور الذي هو فيه – أن يكونوا على هذا النهج، فقد كان يَحِجُّ ﷺ وأخذ أصحابه، وذهب لزيارة البيت الحرام وكان بعض أصحابه يتمايل لينام، فقال ﷺ وأرضاه:

أَحْمَدَ السُّبْكِيَ تَنَامُ وتَدَّعِي حُبَّنَا نَومُ أَهْلِ القُرْبِ فِي الزُّلْفَى حَرَامُ

كيف ينامون في مقام الإزدلاف والقرب من حبيب الله ﷺ؟

وَكَيْـفَ يَنَـامُ مَعْشُـوقٌ لِلَيْلَـى وَلَيْلَـى تَشْـتَهِي مِنْـهُ القِيـامَ

كيف ينام والحبيب ﷺ يطلبه ليكشف له الستائر، وينير له البصائر، ويواجهه بنوره الباهر، الذي لو ساطعة من أنواره لمعتْ على الوجود لدُكَّ كما أخبر الربُّ المعبود عزَّ وجلَّ:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (٢١:الحشر)

والإشارة فيها لو نزل القرآن الحقيقي على جبل من جبال القلوب لخشع لأنوار علاَّم الغيوب الظاهرة في الحبيب المحبوب صلوات ربي وسلامه عليه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾. ومولانا الإمام أبو العزائم ﷺ قال لنا جميعاً:

دَعْ عَنْكَ مثلاً بَلْ مَقَـالاً واشْـهَدَنْ سـرَّ العَلِـيِّ بِنُـورِهِ الوَضَّـاحِ

أي: فَاعْلُ عن الأمثال وعن المقال، وادخل على حضرات الجمال والكمال،

تتمتع بأنوار المصطفى ﷺ بلا مثال، ولا ظلال، ولا زوال!!

فالناس تعشق رسول الله لما يسمعون من جميل سيرته، وتتعطر به أسماعهم من أحواله وأحوال أهل محبته، لكن الإمام أبي العزائم ﷺ يقول له:

(عَشَقْتُكَ كَشْفاً لا سَمَاعَ رِوَايَةٍ)

أنا عشقتك للكشف الذي رأيته.

زيارة الصالحين لروضة المصطفى

فقد ورد عنه ﷺ أنه كان في حَجَّتِه – وكما نعلم جميعا يغلق الحرم المدني بعد صلاة العشاء – ولأمر يعلمه الله عزَّ وجلَّ لم يره الخدم، لِنَصِيبٍ له أُعِدَّ منذ القدم، لأنه لا يدخل أحد من الصالحين مسجد رسول الله إلا بإذن!!

فسيدنا أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما حَجَّ البيت أمر بنصب الخيام خارج المدينة، ومكث ثلاثة أيام، وكلَّما همَّ أصحابه بالدخول للزيارة وتعجلوا، يقول: حتى يأتي الإذن من رسول الله ﷺ : ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[٥٣الأحزاب] ... فكانوا يستأذنون قبل الدخول، وكانوا يقرأون هذه الآية على باب الحرم، ولا يدخلون إلا إذا سمعوا: ادخل يا فلان!! أو يشمون رائحته العطرة التي ليس لها مثيل في الأكوان!! فإن لرسول الله ﷺ رائحة خاصة يعلمها المحبُّون!! لا يشمونها بهذه الأنوف الظاهرة، وإنما من باب:

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [٩٤يوسف]

فيشمونها بمشام القلوب كسيدنا يعقوب، عندما شم رائحة سيدنا يوسف من

مصر وهو في بيت المقدس!!

وكذلك العارفون يشمون رائحة النبي ﷺ الخاصة التي يقول فيها أصحابه رضي الله عنهم: (كان ﷺ إذا سلك طريقاً نعرف أنه مشى في هذا الطريق من رائحته التي نعلِّمه بها)[١٠٦]. فبعضهم يشم هذه الرائحة فتكون إذناً من حضرته بالدخول لزيارته ﷺ. وإذا كنا نقول: (لا يُزار الوليُّ إلا بإذنه)،فما بالكم بسيِّد الأولياء !!، وإمام المرسلين والأنبياء!!، وقدوة الصالحين والأصفياء ﷺ؟!!

فقفل الخدم الحرم وتركوا الإمام أبا العزائم ﷺ مع حبيب الله ومصطفاه في ليلة ليلاء، قال فيها ﷺ:

حَبِيبِي قَدْ شَرَح صَدْرِي وَآنَسَنِي إِلَى الفَجْرِ
وَرَقّانِي إِلَى أَعْلَى مَقَامِ القُرْبِ وَالسَّيْرِ
وَنَادَانِي الإِمَام هيَّا أَتَاكَ الوَصْلُ بِالبِشْرِ
فَقُم لِلدِّينِ يَا مَاضِي فَإِنِّي قَدْ صَدَرْ أَمْرِي
تَمَلَّي بِي وَشَاهِدْنِي وَمِلْ عِنْدِي عَنْ الغَيْرِ
وَأَنْبِأ مَنْ يُرِدْ قُرْبِي بِحُسْنِى حَيْثُ لا يَدْرِي

فتمتع بما كاشفه الله به من أنوار حبيب الله ومصطفاه!

وقرَّب لنا الحقائق، وصاغ لنا في عبارات قريبة هذه الرقائق، التي لا تستطيع أن تنطقها الألسن .... ولكن تقرأها القلوب بعد تناول طهور المشروب، والخلاص من الأدناس والتطهير من العيوب ..

وعرَّفنا أن هناك مقامٌ عظيمٌ ادخره النبيُّ الكريم لَمَنْ لَمْ يحظَ بهيكله الشريف في زمانه وعصره وأوانه – نحن ومن قبلنا كنا في همٍّ مُلازم لأننا لم نَرَ رسول الله، ولم نتمتع

١٠٦ سنن الدارمي عن جابر رضي الله عنه: ("أن النبي ﷺ لم يسلك طريقاً، أو لا يسلك طريقاً، فيتبعه أحدٌ إلاَّ عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه، أو قال: من ريح عرقه)

بجماله وبهاه، ونتلهف على لمحة من نوره، لأن لمحة واحدة من نور رسول الله فيها كل خير وبركة وعطاء:

{ مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقّاً فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي }[١٠٧].

هذا تقرير، والتبشير:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ }[١٠٨].

متى؟ عند خروج الرُّوح ويوم الزحام، يأتي ساعة الموت، يستقبله ويهنأه بسلامة الوصول، ويقول له: أنت هنا معنا لأنك مت على حبِّ الله وحبِّ رسول الله ﷺ، ويزيد في البشرى فيقول لنا:

{ يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة }[١٠٩]

بشائر رجال الختام

ويعطينا مقاماً – أصحابه ﷺ أنفسهم تمنَّوا هذا المقام، وكان بودِّهم أن يسمعوا عبارات الشوق من المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فسيدنا بلال لما ذهب إلى الشام بعد انتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى، جاء إليه النبيُّ في المنام وقال له:

{ يا بلال، ما هذا الجفاء؟ أما آن لك أن تزورنا؟!! }

وغيره كذلك كان على هذه الكيفية – لكن نحن قال لأصحابه بشأننا – ليعرفوا

---

١٠٧ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٠٨ صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٠٩ (متفق عليه)، البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد عن أنس رضي الله عنه

مكانتنا ومنزلتنا:

{ لَوَدِدْنَا أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانِي الذين يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي.}، وفى أخر قال ﷺ: { أَنْبِؤُونِي افْضَلِ أَهْلِ الإيْمَانِ إِيْمَاناً؟.- حتى أخبرهم ﷺ من هم؟- أَقْوَامٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ يَّاتُونَ مِنْ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بِي، ولَمْ يَرَوْنِي، ويُصَدِّقُونِي وَلَمْ يَرَوْنِي ، يَجِدُونَ الوَرَقَ المُعَلَّقَ، فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، فَهَؤُلاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الايمَانِ إِيْمَاناً }، وروى: { إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيْهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيْهَا أَجْرُ خَمْسِيْنَ، قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم أو خمسين منا؟ قال: خَمْسِيْنَ مِنْكُمْ }، وروأن السائل عمر ﷺ، وروى: {بَلْ مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَهُمْ لا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا }[١١٠]

مَنْ الَّذين في آخر الزمان؟ ومتى آخر الزمان؟ البشرى تحققَّتْ لنا على لسان الإمام أبي العزائم ﷺ وقال لنا:

من مثلكم والشوق أوصلكم إلى سر الأخوة مطلب الأصحاب

وقال أيضًا:

إخوانه والناصرون لدينه والمرشدون بحضرة الفتاح

نحن المقصودون بهذا الكلام. وكيف نتيقن من هذا الكلام؟ نتيقن من منامات الصالحين التي قال فيها المصطفى ﷺ:

{ لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنَ الْمُبَشرَاتِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَىٰ لَهُ }[١١١]

وقد انتسب بعض أهل الصفا من إخواننا أهل البداية للإمام أبي العزائم! – وكانوا يريدون أن تطمئن قلوبهم لأن الكلام الذي كان يقوله –كان كلاماً غير عادي –

---

١١٠ الأول :سنن ابن ماجه عن أبى هريرة، الثانى: رواه أبو يعلى. عن عمر بن الخطاب، والثالث مجمع الزوائد عن عبدالله بن مسعود، والرابع أحام القرآن ونفح الطيب عن ثعلبة مرفوعا

١١١جامع المسانيد والمراسيل عن عائشة رضى الله عنها

فنام أحدهم ورأى رسول الله ﷺ قاعداً على كرسي وأمامه ستارة، وأمام الستارة يجلس الإمام أبو العزائم على كرسي، وكلما نطق رسول الله ﷺ بكلمة، كرَّرها الإمام أبو العزائم، فإذا نطق جملة أعادها الإمام أبو العزائم بدون زيادة أو نقص. فقام من نومه وقد زاد وربا الإيمان في قلبه، وجاء مسروراً إلى الإمام في بيته وسراياه في شارع مجلس الأمة، وجلس في المجلس، وإذا به ﷺ وأرضاه يقول:

لَوْلا وَلَوْلا وَلَوْلا عَهْدٌ وَثِيقٌ لِمَولَى
لَكَشَفْتُ عَنِّي سِتَارِي وَبُحْتُ بِالسِّرِّ قَوْلا
لَكِنَّ وَجْهاً جَمِيلاً لِعَيْنِ قَلْبِي تَجَلَّى
أَغِيبُ عَنِّي وَأُمْلِي لِمَنْ بِسِرِّي تَحَلَّى
إِنْ كَانَ مَا قُلْتُ نُوراً فَالسِّرُّ أَعْلَى وَأَغْلَى
يُعْطَى لِفَرْدٍ مُرَادٍ عَنْ كُلِّ غَيْرٍ تَسَلَّى
بَاعَ النُّفُوسَ وَمَالاً حتَّى بِهِ كُنْتُ أَوْلَى

فالحمد لله الذي عرفنا وأكد لنا أننا لسنا محبّين ولكن محبوبين لسيد الأولين والآخرين، وهناك فرق كبير بين المُحِبّ والمَحْبُوب، وبين الطالب والمطلوب، وبين المريد والمراد.

المريد يجمّل نفسه لئلا يردوه، والمراد يجمّلوه ويزيّنوه ويتغاضون عن عيوبه لأنهم يحبُّوه. ونحن في أمثالنا العادية نقول: (عدوك يتمنى لك الغلط، وحبيبك يبلع لك الزلط)، فنحن محبوبون لرسول الله ﷺ.

هذه الحقيقة، وهذا السرُّ، وهذا الكنز الذي كشفه لنا والذي عرفه لنا فتحه الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه، فعرفنا بأن لنا مكانة عند رسول الله، وأن لنا منزلة عند حبيب الله ومصطفاه، وأن كلَّ واحد منا له في باطنه كنز فيه نُور النُّور، ورمز السرور، فيه نور من حبيب الله ومصطفاه، وبسرِّ هذا الكنز وببركة هذا النور لا ح فلاحنا، وزاد نورنا، وكان هناؤنا في الدنيا ويوم لقاء ربنا عزَّ وجلَّ.

هذا النور وارد في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام البخاري ﷺ، والذي يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فِى ظُلْمَةٍ ثم ألقى عليهم من نورهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ النُّورُ اهْتَدَى، ومَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }[١١٢].

هذا النور يا إخواني يقول فيه ﷺ فيما جاء من الأثر:

{ أنا من الله والمؤمنون من نوري }

وفي رواية: **{ أنا من الله عز وجل والمؤمنون مني }[١١٣].**

ويقول في الأثر الآخر:

{إن في القلب لغيب، وإن في الغيب لسرّ، وإن في السرِّ لنور، وإن في النور لأنا }.

ولذلك قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

((أحبَّ ما فيك منه، لأنه هو المحبوب له لا أنت))

أي أحب ما فيك من نور حبيب الله ومصطفاه

فهو السرُّ وهو المغناطيس الذي يشد القلوب إلى الله ..!

ويشدُّ النفوس إلى كتاب الله ..!!

---

١١٢ مسند الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

١١٣ أخرجه الديلمي بلا سند عن عبد الله بن جراد وتمامه { فمن آذى مؤمنا فقد آذانى}، وفى اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة قال بعض الحفاظ هذا اللفظ لا يعرف عن النبي لكن ثبت في الكتاب والسنة ان المؤمنين بعضهم من بعض كما قال تعالى بعضكم من بعض، وقال رسول الله الاشعريين هم مني وانا منهم، وقال لعلي ﷺ انت مني وأنا منك، وقال للحسن هذا مني وانا منه وكلها صحيحة.

ويشد الصدور إلى العلم بالله!

ويشد الأجساد إلى زيارة حرم الله وبيت الله ...

كل هذا من أين يا إخواني؟.من مغناطيس المحبة ...

الذي هو من نور حبيب الله مصطفاه صلوات الله وسلامه عليه.

والحمد لله يا إخواني أن الله أكرمنا وجعلنا محبوبين لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

ومقام المحبة هذا مقام عظيم بشراه وهناه ... تتضح في كثير مما ورد في كتب الأولين وفي سير الصالحين. فقد ورد الأثر في توراة سيدنا موسى عليه السلام :

{ يُحكى أنّ رجلاً كان من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام ، وكان الرجلُ مُسْرِفاً على نَفْسِهِ، لم يعملْ خَيْراً قطُّ، مشهوراً بينهم بالمخالفات مستشيناً بقبيح الفِعَالِ والسّيئات، فَرؤي في المنامِ بعد مَوتهِ على أحسنِ حالٍ وأكمله، وأحسنِ صورةٍ في أكملِ نظر ومنظر وأَجمله؛ فقيل له: من أينَ لكَ هذا الزَّيْن، وهذا الحُسن والجمال؟ وقد كنت شَيْئاً بخبائثِ الأَفعال!، فقيراً من صَالح الأعمال؟ .. فقال، لأَنّي فتحتُ التَّوراةَ ذاتَ يوم فوجدتُ فيها صفة حبيب الله: محمّد بن عبد الله؛ فَقبّلْتُ اسْمَهُ، ووضعْتُه على رأسي، فعاملني المولى جلّ جلالُه بفضلِه، وغفرَ لي، ورَحمني لمحبْتي، إكراماً وإجلالاً لنبيّه، وحبيبه، وعبده }[١١٤]

١١٤ تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين

فإذا كان الذي عظَّم رسول الله مرةً له هذا الجزاء!!

فكيف بمن كان – كما يقول الحافظ بن ناصر الدمشقي ﷺ – معبِّراً عن رؤيا العباس ﷺ في أخيه أبي لهب، عندما رآه في المنام قال الراوى:

{ لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة إلاَّ أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين . قال: وذلك أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فأعتقها }[١١٥]

فقال الحافظ بن ناصر الدمشقي معبرًا عن ذلك:

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِرٌ جَاءَ ذَمُّهُ وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الجَحِيمِ مُخَلَّدا
أَتَى أَنَّهُ فِي لَيْلَةِ الإِثْنَيْنِ دَائِماً يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلسِّرُورِ بِأَحْمَدَ
فَمَا الظَّنُّ بِالعَبْدِ الذِي عَاشَ عُمُرَهُ بِأَحْمَدَ مَسْرُوراً وَمَاتَ مُوَحِّدا

فما هو نصيب هذا يا إخواني إن شاء الله؟ فنحن والحمد لله لنا بشرى عظيمة عند الله، لأننا محبوبين لرسول الله ﷺ، ويكفينا تِيهاً وفخراً أنه تمنَّى أن يرانا!!! وقال:

{ ليت الله عز وجل قد جمع بيني وبينهم }[١١٦]

---

١١٥ عمدة القاري وذكره السهيلي

١١٦ عن أبى هريرة رضى الله عنه كنز العمال والحديث بتمامه لمناسبته للموضوع : { قال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة عليك بطريق قدم إذا فزع الناس لم يفزعوا، وإذا طلب الناس الأمان لم يخافوا، قوم من أمتي في آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الأنبياء إذا نظر الناس إليهم ظنوا أنهم أنبياء بما يرون من حالهم فأعرفهم فأقول أمتي فيقول الخلائق: إنهم ليسوا بأنبياء؛ فيمرون مثل البرق والريح، تغشى من نورهم أبصار أهل الجمع، فقلت: يا رسول الله فمرني بمثل عملهم، لعلي ألحق بهم، فقال: يا أبا هريرة ركبوا طريقا صعب المدرجة، مدرجة الأنبياء، طلبوا الجوع بعد أن أشبعهم الله تعالى، وطلبوا العرى بعد أن كساهم الله تعالى، وطلبوا العطش بعد أن أرواهم الله تعالى، تركوا ذلك رجاء ما عند الله، تركوا الحلال مخافة حسابه، وصاحبوا الدنيا فلم تشغل قلوبهم، تعجب الملائكة من طواعيتهم لربهم، طوبى لهم، ليت الله عز وجل قد جمع بيني وبينهم، ثم بكى رسول الله ﷺ شوقا إليهم، فقال: يا أبا هريرة إذا أراد الله بأهل الأرض عذابا فنظر إلى ما بهم من الجوع والعطش كف ذلك العذاب عنهم، فعليك يا أبا هريرة بطريقهم، من

وإن شاء الله سيجمع الله بيننا وبينه لاشك في ذلك ..!!!

لأننا والحمد لله محفوظين بذلك:

كُـلُّ رُوحٍ تَـرَى جَمَـالَ حَبِيبِـي لَيْلَـةَ الوَضْـعِ لا بِرُؤيَـا المَنَـامِ

فهذا الذي حبَّبنا في مولانا الإمام أبي العزائم ﷺ ..

لأنه بيَّن لنا أننا المَعْنِيُّون والمقصودون بمحبَّة رسول الله ... وأننا المبشرون بأننا سنكون يوم القيامة معه عند الله ... وسندخل جميعًا في قول الله:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [٦٩النساء]

وفتح الله عزَّ وجلَّ الآية إلى يوم الدين ...

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يملأ قلوبنا بخالص حبِّه ... وأن يسقينا من صافي كاسات وصاله وشربه ... وأن يكشف عنا كلَّ رَيْنٍ وغين، وكلَّ غطاء وبين .... حتى تقع العين منا على العين ... وحتى نرى أنوار الحبيب المصطفى بلا رين ولا غين .. ونكون معه في الدنيا ويوم الدين.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

==========

إنتهى بحمد الله تعالى وبركة حبيبه ومصطفاه

خالف طريقهم بقي في شدة الحساب، قال مكحول: فقد رأيت أبا هريرة وإنه ليتلوى من الجوع والعطش، فقلت له: رحمك الله أرفق بنفسك، فقد كبرت سنك، فقال: يا بني إن رسول الله ﷺ ذكر قوما وأمرني بطريقهم، فأخاف أن يقطع القوم طريقهم، ويبقى أبو هريرة في شدة الحساب.

الخاتمة

نبذة عن المؤلف

ثبت مؤلفات الشيخ

أين تباع كتب الشيخ

الفهرست

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت **www.Fawzyabuzeid.com** وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ :

عدد (١٠٤) كتاب في خمس عشرة سلسلة

أولاً: فى تفسير القرآن الكريم: (٨)

(٤) نفحات من نور القرآن (ج١)، (١٤) نفحات من نور القرآن (ج٢)، (٤٨) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (٢ط)، (٩١) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ، (٩٣) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام، (٩٦) تفسير آيات المقربين: الجزء الأول. (١٠٢) تفسير آيات المقربين: الجزء الثاني.، (١٠٣) حكمة لقمان وبر الوالدين.

ثانياً: الفقه: (٨)

(٢) زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (٢ط) (ترجم إنجليزى وإندونيسى)، (٥٢) كيف تكون داعياً على بصيرة، (٥٤) مختصر زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٧١) الصيام شريعة وحقيقة، (٧٢) إكرام الله للأموات، (٩٥) صيام الأتقياء،(١٠٠) دلائل الفرح بالرحمة المهداة.(١٠٤) سنن الهدى.

ثالثا: الحقيقة المحمدية: (١١)

(٧) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط)، (١٣) إشراقات الإسراء ج١ (٢ط)،(٢٢) الكمالات المحمدية (٢ط)، (٢٣) الرحمة المهداة (٢ط)، (٣٣) واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ (٢ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٥) إشراقات الإسراء ج٢، (٦١) السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين،(٨٥) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه، (٨٧) تجليات المعراج،(٩٠) شرف شهر شعبان.

رابعاً: من أعلام الصوفية: (٦)

(١) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط)، (٣) الشيخ مُحَمَّد على سلامه سيرة وسريرة،(٤١) المربى الربانى السيد أحمد البدوى، (٤٥) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (٢ط)، (٥٩) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى، (٩٧) الإمام مُحَمَّد ماضى أبو العزائم، سيرة حياة.

خامساً: الدين والحياة: (٧)

(٢٦) إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام (٢ط)، (٣٤) كيف يحبُّك الله (٣ط) (مترجم إنجليزى)، (٣٩) كونوا قرآنا يمشى بين الناس (٢ط)(مترجم إنجليزى)، (٥٠) قضايا الشباب المعاصر، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (٣٢٠٠٠تنزيل)، (٩٢) فقه الجواب (أسئلة الموقع).

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

(١٦) المولد النبوى، (١٧) شهر رجب والإسراء والمعراج،(١٨) شهر شعبان و ليلة الغفران، (١٩) شهر رمضان و عيد الفطر،(٢٠) الحج و عيد الأضحى، (٢١) الهجرة ويوم عاشوراء، (٥٥) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (٣ط).

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية: (١) (٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

ثامناً: المرأة المسلمة: (٤)

(٩) تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم إنجليزى)، (٤٣) المؤمنات القانتات(ترجم إنجليزى)(٢ط)، (٤٤) فتاوى جامعة للنساء(٢ط)، (٧٤) الحب والجنس فى الإسلام.

تاسعاً: الطريق إلى الله: (١٢)

(٦) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط)(ترجم للأندونسية)،(٢٥) طريق المحبوبين وأذواقهم، (٢٨) المجاهدة للصفاء و المشاهدة (٢ط)،(٣٠) علامات التوفيق لأهل التحقيق، (٣١) رسالة الصالحين، (٣٢) مراقى الصالحين، (٥٧) تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق)،(٦٠) نوافل المقربين، (٦٤) أحسن القول،(٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام، (٨٨) مجالس تزكية النفوس ج١،(٨٩) مجالس تزكية النفوس ج٢،

عاشراً: الأذكار والأوراد (٧)

(٨) مفاتح الفرج (٦ط) (١٤مرة طباعة)(ترجم إنجليزى وأندونيسى)،(١٥) أذكار الأبرار، (٣٧) مختصر مفاتح الفرج (٥ط)، (٣٨) أذكار الأبرار (صغير)(٣ط)، (٤٠) أوراد الأخيار (تخريج وشرح)(٢ط)،(٥٦) نيل التهانى بالورد القرآنى، (٧٣) جامع الأذكار والأوراد.

حادى عشر: دراسات صوفية معاصرة: (١٦)

(١٠) الصوفية و الحياة المعاصرة، (١١) الصفاء والأصفياء،(١٢) أبواب القرب ومنازل التقريب، (٢٩) الصوفية فى القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية، (٣٦) المنهج الصوفى والحياة العصرية، (٤٢) الولاية والأولياء، (٤٩) موازين الصادقين، (٥١) الفتح العرفانى، (٥٣) النفس وصفها وتزكيتها، (٥٨) سياحة العارفين،(٦٣) منهاج الواصلين،(٦٥) نسمات القرب، (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء، (٧٧) شراب أهل الوصل،(٨٣) مقامات المقربين.،(٩٨) آداب المحبين لله.

ثانى عشر: الفتاوى: (٦)

(٢٤) فتاوى جامعة للشباب،(٧٦) فتاوى فورية ج١،(٨٠) فتاوى فورية ج٢، (٨٤) فتاوى فورية ج٣، (٨٦) فتاوى فورية ج٤، (١٠١) يسألونك.

ثالث عشر: أسئلة صوفية: (٣)

(٢٧) نور الجواب على أسئلة الشباب (ترجم للإنجليزية) ٢ط، (٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية، (٩٩) إشارات العارفين.

رابع عشر: حوارات مع الآخر: (٣)

(٨١) سؤالات غير المسلمين، (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر، (٩٤) أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين.

خامس عشر: شفاء الصدور: (٤)

(٤٦) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (٢ط)، (٤٧) بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)، (٦٢) بشريات المؤمن في الآخرة،.(٦٦) بشائر الفضل الإلهي،

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى مُحَمَّد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
مكتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع مُحَمَّد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
		الإسـكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول

كشك مُحَمَّد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
		الأقــاليم
كشك عبد الحافظ	مُحَمَّد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ – شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة – شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم ح مُحَمَّد الأتربي	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن مُحَمَّد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا – ش السيدة زينب- الحاج مُحَمَّد الريس والأستاذ مُحَمَّد رمضان مُحَمَّد النوبى
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى مُحَمَّد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا – الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجانا من موقع الشيخ
www.fawzyabuzeid.com وعلى موقع www.askzad.com موقع
الكتاب العربى ، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠-٢٥٢٦١٦١٨

الفهرســـت

مقدمة الطبعة الثانية	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٥
الفصل الأول: حقائق الحضرة المحمدية	٧
الحضرة الأحمدية	١٠
الحضرة النورانية	١١
الحضرة الأكملية	١٢
درجات الإيمان	١٤
الجهاد الأعظم	١٦
حكمة الجهاد	١٨
ميزان الأحوال	٢٠
المتابعة الرافعة	٢١
الفصل الثاني: فضل الصلاة على النَّبيِّ ﷺ	٢٧
حقيقة الصلاة عليه	٣٢
بركة الأعمال والأقوال	٣٤
سرُّ جمال صورة البقاء	٣٩
الفصل الثالث: ثناء الصالحين على سيِّد المرسلين	٤٣
صور الحبيب المصطفى	٤٨
الكمال المحمدى	٥١

سرُّ الحبِّ لله والإيمان	٥٢
بين المُحبّ ِوالمحبوب	٥٤
تفقد الرسول ﷺ لأحبابه	٥٧
صدأ القلوب وعلاجه	٥٩
الفصل الرابع: الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ لدى الصالحين	٦٥
التخلق بأخلاق الرسول ﷺ	٦٨
استحضار أوصاف الحبيب	٧٠
رسالة مكارم الأخلاق	٧٢
أصناف الورثة لحضرته	٧٤
نشر الفضائل المحمدية	٧٥
كيف ننشر الإسلام	٧٦
سبب حبنا لشيخنا الشيخ مُحَمَّد على سلامه	٧٧
الفصل الخامس: رسالة القيم والفضائل	٧٩
آداب سماع العلم	٨٣
الغاية من رسالته ﷺ	٨٥
بضاعة الرحمن وبضاعة الشيطان	٨٦
المعركة بين جند الرحمن والنفس والشيطان	٨٧
الجهاد الأكبر	٨٩
لواء الفضيلة	٩٠

أعباء الدَّاعي إلى الله على مولاه	٩١
الفصل السادس: محبة الصالحين لإمام الأنبياء والمرسلين	٩٣
باب الفضل وسر الوصول	٩٦
تربيتة ﷺ لأصحابه الكرام	٩٨
سرُّ حب الصالحين للرءوف الرحيم	١٠١
جمال المقربين	١٠٣
الرحمة التامة	١٠٨
الفصل السابع: الحقيقة المحمدية	١١٣
صورته الظاهره وأسراره الباطنة	١١٧
مراتب صوته ﷺ	١٢٠
عين القلب	١٢٦
الفصل الثامن: خصائص رسول الله ﷺ	١٣١
النعمة العظمى	١٣٥
مواهب العارفين	١٣٧
طريق الفتح	١٤٠
كمال أخلاقه ﷺ	١٤٥
كنز فضل الله	١٤٩

الفصل التاسع: سرُّ السعادة الأزلية	١٥١
سرُّ سعادتنا الإيمانية	١٥٦
نعمة الهداية	١٥٧
حقيقة الرحمة	١٥٨
الرحمة العظمى لجميع العالم	١٥٩
سردُ ابتلاء الله للمؤمنين	١٦٢
الفصل العاشر: بشائر المحبين لرسول الله ﷺ	١٦٧
تعلق الصحابة المباركين بجمالات النبى الكريم	١٧٠
زيارة الصالحين لروضة المصطفى	١٧٣
بشائر رجال الختام	١٧٥
الخاتمة	١٨٢
نبذة عن المؤلف فضيلة الشيخ فوزى مُحَمَّد أبوزيد	١٨٣
قائمة مؤلفات الشيخ	١٨٤
قائمة المكتبات ودور النشر	١٨٦
الفهرست	١٨٨

تحت الطبع

الجزء الثالث

من

تفسير آيات المقربين